القسم الأول

من أسرار الحرب العالمية الثانية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مقامرة خاسرة

إذا كانت الأحداث التي ماتزال تقع سرعان ما تصبح « تاريخاً قديماً » ، فإن هذه الأحداث تظل مع ذلك « أداة » نحلل بها ما سوف يقع في المستقبل ، ونتخذ له وسائل الوقاية منه .

وينطبق ذلك على الحديث عن الحروب القديمة ، وفي مقدمتها الحرب العالمية الثانية التي ظل أوارها مستعراً أكثر من خمس سنوات ، وراح ضحية لها عدة عشرات من ملايين البشر ، وأحدثت خراباً في الدول التي اشتركت فيها لم يسبق له مثيل في التاريخ ، وأدخلت على العالم تقسيماً جديداً عندما جعلت منه معسكرين متميزين ومتصارعين ، وكانت قد بدأت باحتمالات معينة شبه موثوق بها ، ثم انتهت نهاية مغايرة كل التغيير .

وليس في الإمكان القول بأن الحرب العالمية الثانية كانت شيئاً مفاجئاً ، فلقد كان الشعور السائد لدى الدول الكبرى في العالم – هو أنها غير آمنة ، ويتطلع بعضها إلى بعض بقدر كبير من الخشية وعدم الثقة . ونتيجة لذلك تغلب عليها القلق فيما يتعلق بقدراتها وقواتها الخاصة .

ذلك أن من الأمور الطبيعية أنه لكي تحول دولة ما دون عدوان دولة أخرى عليها ، كان يتعين عليها أن تكون قوية مثل الدولة التي قد يأتي من ناحيتها العدوان ؛ إذ إن عدم تناسب القوى يغري بداهة أي عدو بشن الهجوم على عدوه .

وفيما يختص بألمانيا فإن ذلك الشعور نحوها من جانب الدول المجاورة لها أو القريبة منها . كان قد ظهر إلى الوجود منذ عام ١٨٧٠ عندما توحدت ألمانيا . وبدأت في تنفيذ برنامج ضخم للتصنيع وتكديس السلاح . فلما كانت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) استشعرت كل من فرنسا وبريطانيا أنهما أقل من القوة الألمانية النامية ، وهما من ثم لا تستطيعان احتواء ألمانيا . حتى إذا كان انهيار روسيا القيصرية وخروجها من الحرب ، وتحول – نتيجة

لذلك مليونان من الجنود الألمان عن الجبهة الشرقية إلى الجبهة الغربية – كان ذلك مؤشراً إلى احتمال قوى بأن ألمانيا هى التى سوف تحرز النصر النهائى على هاتين الدولتين . وعند ذلك وقعت ألمانيا فى خطأ التحرش بالولايات المتحدة بتسليط غواصاتها صراحة على السفن الأمريكية لإغراقها ، الأمر الذى عجل بدخول أمريكا الحرب إلى جانب حلفاء الغرب ؛ مما جعل فى الإمكان احتواء الهجوم الألمانى الكبير فى ربيع ١٩١٨ ، ومن ثم هزيمة ألمانيا .

* * *

ومرة أخرى اضطرت أمريكا التى عمدت إلى سياسة العزلة بعد تلك الحرب ، أن تعيد الكرة بعد حوالى اثنين وعشرين عاما ؛ فتتدخل فى الحرب العالمية الثانية إلى جانب حليفتيها الغربيتين على إثر تلك الهزيمة المروعة التى أنزلتها القوات الألمانية عام ١٩٤٠ بفرنسا ، ثم أوشكت أن تغزو بريطانيا وتقضى عليها .

والواقع أن ذلك هو الدافع الحقيقى لدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا وقوات المحور ، فإنه حتى من قبل الهجوم اليابانى البحرى والجوى المفاجئ على ميناء (بيرل هاربر) الأمريكى الذى اعتبر السبب المباشر لإعلان واشنطون الحرب ، كانت الولايات المتحدة مشتبكة فعلاً فى حرب بحرية ضروس مع ألمانيا فى المحيط الأطلنطى .

ولقد قيل فى هذا الصدد : إنه لو أن هتلر لم يقع فى خطأ تأجيل القضاء على بريطانيا إلى ما بعد فراغه من تدمير الاتحاد السوفيتى لاستطاع أن يحقق النصر النهائى قبل أن تتهيأ أمريكا لنجدة حليفتها . غير أن الرد على ذلك أن وقوف الولايات المتحدة صراحة فى وجه ألمانيا بإعلان الحرب عليها رسمياً لم يكن سوى مسألة وقت . ومن هنا فإن تأخرها فى ذلك إنما يرجع إلى أن الغزو الألمانى لروسيا قد ترتب عليه تأجيل معركة الأطلنطى بعض الوقت ، فلو أن ألمانيا كانت قد بدأت هذه المعركة مبكراً لبادر الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت – وهو روزفلت – إلى أن يطلب من مجلسى الكونجرس إعلان الحرب .

وليس معنى ذلك أن هزيمة ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية كانت أمراً محتوماً لمجرد اشتراك أمريكا فيها ضدها ؛ فهى حتى مع هذا الاشتراك كانت تبدو متفوقة على مجموع أعدائها ومن ثم كان هناك احتمال لا بأس به فى أن تخرج منتصرة من تلك الحرب ؛ إنما الذى جعل هزيمتها أكثر من متوقعة هو ما اتفق عليه خبراء الشئون العسكرية العالميون ، وكذلك المؤرخون والمحللون السياسيون : من أن أدولف هتلر لم يكتف بأنه الزعيم السياسى الذى اتخذ قرارات

الحرب ، بل إنه فرض نفسه على هيئة أركان الحرب الألمانية التى تعتبر قمة العسكرية البروسية بكل من فيها من خبراء وقواد عظام وجنرالات ، وضرب بخططهم عرض الحائط .

ومن هؤلاء الجنرالات الأميرال العظيم (إيريش رايدر) قائد البحرية الألمانية الذى كان يعرف تمام المعرفة أن العقبة الأولى والأخيرة أمام انتصار بلاده هى استسلام بريطانيا ، والذى استطاع برغم تعاطفه مع الإيديولوجية النازية إبقاء البحرية وبصفة خاصة هيئة الضباط فيها بعيداً عن نفوذها أو الوقوع تحت سيطرتها . فقد وضع هذا الأميرال مشروعاً متكاملاً لتحقيق الهدف الألمانى قدمه لهتلر ، شمل جميع حلول المشكلات العسكرية التى تحول دون هذا الانتصار .

ولو أن هتلر أخذ بهذا المشروع لاستطاع فى رأى الخبراء العالميين كسب الحرب . ولتغير بذلك وجه العالم. إلا أنه رفض المشروع جملة وتفصيلاً لمجرد أن رايدر لم يكن من الرجال الذين يقدمون له الثناء المستمر والطاعة العمياء .

والثابت تاريخيًّا أن الأميرال قدم هذا المشروع الذى نشير فيما يلى إلى الخطوط الرئيسية فيه يوم ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٠ بعد فشل عملية (سبع البحر) لغزو الجزر البريطانية . فابتداء من ذلك الوقت كان الأميرال رايدر يرى أن البحر المتوسط هو المحور الذى تقوم عليه الإمبراطورية البريطانية ، فتنبأ بأن بريطانيا سوف توجه جهودها الحربية ضد إيطاليا .

وتبعا لوجهة نظره كان يتعين قبل أن تصبح الولايات المتحدة فى وضع يمكنها من دخول الحرب وبعدة بريطانيا إغلاق هذا البحر عن طريق الاستيلاء على مضيق جبل طارق ، وحمل إسبانيا على الدخول فى النزاع ، ثم احتلال قناة السويس .

وتنبأ رايدر كذلك فى دقة بالغة ، بأن الإنجليز والأمريكيين سوف يفعلون المستحيل بالاستعانة بالقوات الفرنسية التابعة للجنرال ديجول ، للاستيلاء على الجزائر الشمالى والغربى من القارة الأفريقية ، ليكونا قاعدة انطلاق لغزو إيطاليا التى كانت لاتزال نقطة الضعف فى الإستراتيجية الألمانية .

وقد قال رايدر فى ذلك : «إذا نحن لم نتدخل فإن إيطاليا ستنهزم . فيجب أن نبادر إلى توطيد أقدامنا فى (داكار) بالتعاون مع فرنسا . ويتعين كذلك أن نتخذ لنا موقع قدم فى المغرب ، ونعمل لحمل فرنسا على الدفاع عن مستعمراتها » .

والواقع أنه لم يمض على ذلك سوى شهرين حتى بدأت الأحداث تجرى بالصورة التى

الجنرال سيب ديتريتش (إلى اليمين) يقدم لهتلر عام ١٩٣٧ قوات حرسه الخاص والوحدة المقاتلة الأولى من قوات العاصفة

فيلهلم كيتل (١٨٨٢ – ١٩٤٦) الذى عرف بطاعته المطلقة لأودلف هتلر ، احتفظ نتيجة لذلك بمنصبه كقائد عام للجيش الألمانى من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٥ . وقد وجد توقيعه على جميع الأوامر والتوجيهات التى أصدرها الفوهرر ، بما فيها كل ما هو مخالف لقوانين الحرب

تحيتها الأميرال الألمانى : فقد نزلت قوات بريطانيا فى جزيرة كريت ، وفى الجزر اليونانية ، وراحت تهاجم الأسطول الإيطالى المرابط فى (تارانتو) .

إن أدولف هتلر لم يتعلم – برغم كل شىء – الدرس الذى تلقاه . وفى يوم ١٨ من ديسمبر ١٩٤٠ أصدر قراره الشهير بغزو روسيا ، وهو ما اعترض عليه الأميرال رايدر طوال الأسابيع التى تلت ذلك بكل قواه ؛ إذ رأى فيه كارثة مدمرة ، وراح يكرر مقترحاته بشأن البحر المتوسط . وناشد الفوهرر أن يأمر بالهجوم على (سنغافورة) بالاشتراك مع القوات اليابانية قبل أن تدخل الولايات المتحدة طرفاً فى النزاع . وقال فى ذلك : « إن هدفنا الأكبر حالياً هو حشد كل طاقاتنا ضد بريطانيا . ونظراً إلى أن هذه الحرب تتولاها القوات البحرية والجوية فإن هذين السلاحين هما اللذان يتعين أن نكرس لها الأفضلية المطلقة من حيث مجهودنا الصناعى » .

* * *

غير أن هتلر كان مصرًّا على التمسك بوجهات نظره ، وراح يدافع عن مشروع مهاجمة روسيا . وإذا كان قد تنازل وأخذ يصغى إلى رأى الأميرال رايدر فإنه لم يدخل فى حسابه أى شىء منه ، فأضاع بذلك آخر فرصة له لكسب الحرب

فلقد ثبت بكل تأكيد أن هذا القرار المدمر بالنسبة لألمانيا كان مرجعه إلى الثقة التى استقرت فى نفس الفوهرر عن عبقريته الإستراتيجية . وخاصة بعد أن صدق حدسه عدة مرات فى معارك لم يكن جنرالاته موافقين عليها . غير أنه فى هذه المرة كان مخطئاً خطأً عظيماً . لقد صدق أنه إله الحرب البرية ، وإذ كان يجهل كل شىء عن الشئون البحرية فإنه خدع نفسه ، فقامر وخسر .

وانهمك هتلر كلية ابتداء من عام ١٩٤١ – فى تحقيق مشروع (ذى اللحية الحمراء) ، لكن غزو روسيا امتص كل جهود ألمانيا الحربية . وفى هذه الأثناء أمر البحرية الألمانية بالبقاء بمنأى عن المعركة ، ثم خفض مخصصاتها ، وأوقف مشروعاتها لبناء قطع جديدة ، وحتى كميات الوقود التى كانت تصرف لها نزل بها إلى أدنى حد . بيد أنه أبقى مع ذلك على قطاع واحد من هذا السلاح العظيم ، هو قطاع الغواصات ؛ إذ ظلت العمليات (الوحيدة) التى تقوم بها ألمانيا فى البحار هى تدمير التجارة البريطانية .

الفصل الثانى

فى البحار يصنع النصر

ظل الأميرال رايدر طوال عام ١٩٤١ يقوم بدور كريه هو دور الناصح الذى لا يعمل أحد بنصائحه .

وفى خلال مؤتمر عقد يوم ١٨ من مارس ١٩٤١ ناشد هتلر أن يفطن إلى العواقب التى سوف تنجم حتماً عن غزو شمالى أفريقيا . ولكى تتقى ألمانيا هذه العواقب أوصى رايدر بعقد تحالف عسكرى مع فرنسا يجعل فى إمكان الرايخ الاستفادة من أسطولها ومن مصادرها التى لا حدود لها فى مستعمراتها الأفريقية ، إلى جانب أن فرنسا ستتولى بنفسها الدفاع عن شمالى أفريقيا الذى له أهمية إستراتيجية عالمية .

وطالب رايدر فى أواخر العام نفسه بإنزال قوات ألمانية فى داكار ، وفى شمالى افريقيا استغلالاً لفرصة لاحت فجأة على إثر إقلاع جزء من الأسطول البريطانى من تلك المنطقة إلى الشرق الأقصى ، وذلك بعد دخول اليابان الحرب وهجومها على سنغافورة والملايو ، لكن هتلر رفض كل هذه المشروعات متخذاً فى ذلك ذريعة الخوف من إغضاب موسولينى إذا هو اتفق مع فرنسا ، وكذلك من موقف الجنرال فرانكو الذى خيل إليه أنه على غير استعداد للوقوف إلى جانب الألمان .

* * *

على أن عام ١٩٤١ لم يجلب للمحور مع ذلك – سوى النجاح إثر النجاح : فقد أمكن اقتحام الجبهة الروسية ، وفى ليبيا أصبح الموقف فى غير مصلحة الحلفاء ، وفى (بيرل هاربر) تلقت الولايات المتحدة ضربة قاصمة .

غير أن الأمر البالغ الوضوح فى تلك الفترة أنه لا هتلر ولا أركان حربه قد فطنا نتيجة انشغالهما التام فى تنفيذ الإستراتيجية البرية – إلى أن الحرب سوف تنشب فى البحار . ولا إلى

الخطط الكبرى التى كان الحلفاء الغربيون يعدونها فى هذا المجال . وترتيباً على هذه الغفلة لم يدركا أن النصر فى البحار الذى هو النتيجة المتوقعة لذلك ، سيكون مقدمة للنصر النهائى .

وتوالت فى عام ١٩٤٢ الأخطاء نفسها ؛ إذ رفض هتلر مرة أخرى ما اقترحه الأميرال رايدر من احتلال قناة السويس . ذلك أن الفوهرر الذى كان واثقاً من نجاح الفيلق الألمانى الذى كان يتولى قيادته (روميل) أعماه عن استغلال الفرصة التى لاحت له للاستيلاء على مالطة فى شهر يونيه ١٩٤٢ كما كانت تطلب بحريته . وقد تبين أن ذلك كان خطأ فادحاً ؛ لأنه ما إن انقضت أشهر قليلة حتى كانت القوات البريطانية والأمريكية تنزل فى شمالى أفريقيا ، وإذا بالجنرال مونتجومرى يقوم بهجوم مضاد ضخم انطلاقاً من مصر .

* * *

إن تنبؤات الأميرال رايدر أخذت تتحقق بعد ذلك الواحدة تلو الأخرى : فما كانت أواخر عام ١٩٤٢ سجل ذلك بداية لميل الميزان العسكرى لغير مصلحة المحور . وليس هناك من شك فى أن هتلر قد أدرك حينئذ الخطأ القاتل الذى وقع فيه عندما لم يأخذ بنصائح رايدر . غير أن نزعته الديكتاتورية لم تجعله يعود إلى ما رأى أنه الحق .

وحدث فى عام ١٩٤٣ – عقب هزيمة حاقت بالسفن الألمانية الحربية العائمة فى مواجهة البحرية البريطانية – أن قرر هتلر إحالة كل قطع أسطوله إلى الاستيداع (وتخريده) ، وراح يصب جام غضبه على الأميرال رايدر بوصفه قائداً لهذا الأسطول . وصبر رايدر حتى مرت هذه العاصفة . ثم حاول أن يعيد الفوهرر إلى الصواب ، وراح يقاوم هذا المشروع الجنونى .

ولكن كل محاولاته ذهبت هباء ؛ لأن هتلر أصم أذنيه عن سماع أى شىء عن الموضوع ، مما اضطر الأميرال إلى تقديم استقالته يوم ٣٠ من يناير بعد أن ظل يخدم البحرية الألمانية خمسة عشر عاماً .

وخلفه فى منصبه كارل دوينيتس ذلك الضابط البحرى الذى عمل فى سلاح الغواصات منذ الحرب العالمية الأولى ، ثم كلف فى عام ١٩٣٤ بإعادة بناء هذا السلاح . ولقد كانت الانتصارات التى حققها سلاحه فى الشهور الأولى من الحرب العالمية الثانية قد أهلته لكى يرقيه هتلر إلى منصب نائب الأميرال عام ١٩٤٠

كان دوينيتس يختلف كثيرا ورايدر . ورغم أنه لم يكن مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالحزب النازى فإنه كان معجباً أكثر من سلفه بالفوهرر . كما لم يكن يعترض أدنى اعتراض على

سياسته ، ويخضع لها تمام الخضوع . وكان هذا الإخلاص الذى لم يتوقف قط مثار إعجاب لدى هتلر الذى كان يضايقه تحفظ رايدر وفتور عواطفه نحوه .

غير أن دوينيتس كانت تنقصه روح التحليل : لقد كان رجل حركة وعمل قبل كل شىء ، متابعاً لكل دقائق الحرب التى تقوم بها الغواصات ، ولكنه كان مجرداً من أى استعداد خاص لتكهنات الكبرى ؛ كما كان عاجزاً تماماً عن استيعاب الخطط الإستراتيجية على المستوى العالمى .

وإذْ كان حتى ذلك الوقت متحيزاً متطرفاً لتنمية سلاح الغواصات وحده على حساب بناء السفن العائمة الكبيرة ، فإنه لم يلبث أن عاد سريعاً إلى وجهة نظر أكثر اعتدالاً : ذلك أنه ما كاد يمضى شهر واحد على تعيينه قائداً عاماً وأميرالاً للأسطول الألمانى حتى راح يدافع عن القطع البحرية التقليدية . ويطالب بتعزيز الحماية الجوية .

وكما فعل رايدر من قبله فإنه أصبح مدافعاً قوياً عن قيام أسطول متوازن ، وتخلى عن اعتقاده القديم بأن الغواصات بمفردها قادرة على كسب الحرب فى البحار ، وخاصة أن الحلفاء راحوا يتباهون خلال عام ١٩٤٣ بأنهم توصلوا إلى اكتشاف أساليب جديدة لتحديد مواقع الغواصات من الطائرات ، الأمر الذى زاد من عدد الغواصات الألمانية التى يتم إغراقها .

وهكذا فإن التعويق الكبير الذى عطل الأسطول البحرى الألمانى عن النمو – وهو الخطأ الإستراتيجى الأكبر الذى وقع فيه هتلر – إنما كان تجاهل وعدم الاعتراف بالأهمية الحاسمة للطيران البحرى : فلقد كان من شأن وقف العمل فى بناء حاملة الطائرات (الوحيدة) التى كانت ستضاف إلى الأسطول الألمانى ، ما حرم هذا الأسطول أىَّ وسيلة للوقاية أو الاستطلاع . وترجع خسارة ألمانيا لعدة سفن حربية من السفن الكبرى مثل البارجة الشهيرة (بسمارك) إلى هذا النقص .

والواقع أنه لم يحدث إلا فى حالات نادرة أن حصلت البحرية الألمانية على تعاون من جانب سلاح الطيران ، إلا أن هذا التعاون لم يقدر له الاتساع لعدم وجود حاملات طائرات فى حيازته ، ونظراً لبعد السفن عن المدى الذى تستطيع بلوغه الطائرات المنطلقة من قواعد على الأرض . والمعروف أن الأمريكين – على العكس من ذلك – طوروا ونموا هذا السلاح إلى أقصى الحدود ، وهم يدينون له بالانتصارات التى حققوها ضد الأسطول اليابانى فى المحيط الهادى ، وكذلك عندما أنزلوا قواتهم على سواحل نورماندى .

كان الجنرالات الألمان القدامى يقيمون حساباً كبيراً للقوات الفرنسية والبريطانية ، ويعترضون من أجل ذلك على مشروعات هتلر التوسعية ، التى كانوا يرون انها ستؤدى حتما إلى مواجهة مع هذه القوات .

غير ان هتلر اتهمهم بالتقاعس وعدم الرغبة فى خوض الحرب . فلما سقطت بولندا وفرنسا على أثر هجوم الجيش الألمانى الخاطف ، وفى وقت قياسى ، إذا بالفوهرر لم يعد يقيم أى وزن لآراء هؤلاء الجنرالات . وفى الصورة (من اليسار إلى اليمين) بلومبرج وفريتش ورايدر

الأميرال رايدر مع هتلر عام ١٩٣٨ ف ميناء كييل وقد تولى رايدر خلال عشر سنوات القيادة العامة للبحرية الألمانية ، التى أعاد بناءها من جديد ، غير ملق بالا إلى قوانين الحظر التى أملاها الحلفاء على ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى

لقد ركز هتلر ، بعد قضيتى بلومبرج وفريتش ، كل السلطة العسكرية بين يديه
وف الصورة الجنرال كيتل ، والجنرال هالدر والجنرال فون براوشيتش يتحدثون مع الفوهرر

وبفضل حاملات الطائرات الأمريكية أصبحت عملية مواجهة ألمانيا لغزو فرنسا من جانب الحلفاء ابتداء من يوم ٦ من يونية ١٩٤٤ غير فعالة ؛ إذ إن غواصات الأميرال دوينيتس لم تستطع أن تغرق سوى ستين سفينة للحلفاء من مجموع الأربعة آلاف من السفن التى استخدموها فى إنزال قواتهم على الساحل الفرنسى : ذلك أن عدم وجود وحدات جوية تنطلق من السفن أدى إلى نتيجة قاسية للألمان ؛ لأنهم لم يتمكنوا من مهاجمة القوافل التى كانت تجىء سواء من إنجلترا أو من الولايات المتحدة ؛ كما أنهم لم يستطيعوا فرض رقابتهم على الشواطئ التى كان يمكن استخدامها كمناطق لنزول القوات المعادية . والواقع أنه مامن طائرة ألمانية واحدة تمكنت من رصد تحرك أو وصول الأرمادا الضخمة التى كان يقودها الجنرال الأمريكى آيزنهاور .

وعلى ذلك يمكن القول بأن خطأ أدولف هتلر كان فى أنه اعتقد أن فى إمكانه أن يحرك الأسطول كما كان يحرك قواته البرية ، وقد فاته أن بناء بحرية وتدريب رجالها إنما هى عملية ضخمة طويلة المدى ينبغى القيام بها فى نطاق سياسة بحرية محددة خطط لها مقدماً .

الفصل الثالث

حرب كان يمكن ألا تقوم

تتحدث بعض كتب التاريخ عن الأسباب التى حدت بالولايات المتحدة إلى الاشتراك فى الحرب العالمية الثانية إلى جانب بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا وإيطاليا واليابان ، ويُرجع أغلبها السبب الرئيسى إلى ذلك العدوان الذى اتسم بالغدر عندما هاجمت اليابان ميناء بيرل هاربر الأمريكى ، ودمرت ما فيه من سفن .

لكن هناك من يقول إن الولايات المتحدة كانت ستدخل هذه الحرب سواء وقع هذا العدوان أم لم يقع ، بل إنهم يصلون إلى القول بأن بريطانيا هى صاحبة فكرة تحريض اليابان على توجيه هذه الضربة ، لتكون الفخ الذى تنصبه للرأى العام الأمريكى ، فيدفع حكومته إلى دخول الحرب ، والذريعة التى تبحث عنها هذه الحكومة لذلك . وتنشأ من هنا فكرة أن الحكومتين – البريطانية والأمريكية – كانتا متواطئتين أو على الأقل متفقتين مسبقاً على الوقوف معاً فى وجه المطامع الألمانية . فما مدى صحة هذا القول ؟

نعود للرد على السؤال إلى الوراء قليلاً : أى إلى الفترة التى كان زعماء بريطانيا فيها لم يعرفوا هتلر على حقيقته . والواقع أنهم لم يقرروا أنه يتحتم وقفه عند حده ، إلا بعد أن استولى على تشيكوسلوفاكيا بأكملها . وبرغم ذلك فإن هذا القرار لم يخف هتلر حتى عندما علم بأن بريطانيا قد تعلن عليه الحرب إذا هو تعرض لبولندا ، فإنه استخف بهذا التهديد على اعتقادٍ منه بأن وقوف بريطانيا إلى جانب ضحيته التالية شىء لا معنى له .

ولقد قيل وصفاً للحرب العالمية الثانية : إنها « الحرب التى كان يمكن ألا تقوم » ، أى أنه كان فى الإمكان الحيلولة دون نشوبها لو أن أحداً وقف بحزم فى وجه التحركات الألمانية المتتالية التى قلبت ميزان القوى فى أوربا . فقد أعادت ألمانيا العمل بقانون التجنيد الإجبارى بعد أن

كانت معاهدة (فرساى) تحظره، وبعد أن كانت تحدد عدد القوات الألمانية بمائتى ألف رجل لا تزيد عليه.

ثم احتلت ألمانيا منطقة (الراين) التى قضت المعاهدة المذكورة بحيادها ونزع سلاحها باعتبار أنها المنطقة الخطرة التى هاجمت ألمانيا منها فرنسا مرتين. وبعد ذلك ضمت إقليم السوديت الذى تسكنه أغلبية ألمانية، والذى كانت المعاهدة نفسها قد اقتطعته من ألمانيا القيصرية عقب الحرب العالمية الأولى، وألحقته بدولة تشيكوسلوفاكيا الجديدة؛ لكى تستطيع أن تدافع منه عن نفسها ضد جارتها الألمانية. ثم أتبعت ذلك المطالبة بممر (دانزج)، وهو قطعة من بولندا.

ولدى نشوب الحرب التى اندلعت فى أسوأ الظروف بالنسبة لبريطانيا وفرنسا كان تشمبرلين رئيس وزراء الأولى فى ذلك الوقت موضعاً لجدل ونقد شديدين، وتضاربت بشأنه الآراء، وتناقضت إلى حد بعيد: فقد كان هناك من رأى أن الأساليب المهذبة التى اتبعها، وإعلانه الدائم عن الرغبة فى تجنيب بلاده شرور الحرب. لا تؤدى قطعاً إلى النجاح فى إحراز السلام، بل إنها تضاعف من جشع دولة أتوقراطية كألمانيا النازية لا يردعها غير القوة.

وعلى أى حال فقد استخلص المؤرخون والمحللون لأسباب نشوب تلك الحرب مبدأ أو نظرية عامة مؤداها: أنه عندما تتغافل دولة ما عن حركة التسلح التى تجرى فى دولة مجاورة لها فإن هذه الأخيرة تصبح قوية بدرجة مفرطة، تهدد أمن وسلامة الأولى.

على أن تشمبرلين كان يجد لنفسه سنداً فى سياسته المهذبة هذه فى أغلبية الرأى العام البريطانى فيما بين الحربين، الذى خرج من الحرب العالمية الأولى متأثراً أشد ما يكون التأثر من الخسائر النفسية التى ألمت به، ليس فقط للملايين التسعة الذين سقطوا قتلى خلال تلك الحرب (فقدت بريطانيا وحدها مليوناً وربع مليون رجل) - بما ترتب على هؤلاء القتلى من فقدان الحيوية والثقة بالنفس؛ وإنما كذلك لأن مئات الألوف الذى عادوا من ميدان القتال حيث تركوا جثث رفاقهم، ظلوا فى تلك الفترة منطوين على أنفسهم داخل عالم خاص بهم، فأصبحوا سلبيين فى المجالات كافة

وهكذا أصبحت الصيحة الشائعة لدى الرأى العام البريطانى هى أن «لا حرب أخرى!»

* * *

كان «السلام» إذن يتمثل فى نظر رئيس وزراء بريطانيا فى مهادنة هتلر والصبر عليه.

وكان ذلك هو السياسة (الوحيدة) التي يتعين انتهاجها. فلما عاد تشمبرلين عام ١٩٣٨ من مؤتمر ميونيخ الذى قدم فيه (تنازلات) هامة لهتلر فى مقابل المحافظة على السلام استقبلته الجماهير الإنجليزية استقبال الأبطال، لأنه حقق لهم ما كانوا ينشدونه من سلام.

من هنا كان تشمبرلين يعتقد تمام الاعتقاد بأنه لا يشارك فحسب فى رغبة الشعب البريطانى فى تجنب وقوع حرب شاملة، وإنما كان يعتقد أن سياسة الصبر على هتلر تحقق هذه الغاية.

لكن رجلا آخر هو تشرتشل درس التاريخ البريطانى وتعمق فيه كان يرى أن سياسة بلاده الخارجية هى الحيلولة دون أن تفرض أى دولة أخرى سيطرتها على أوربا، وهى قد فعلت ذلك مع إسبانيا أيام كان يحكمها فيليب الثانى، ثم مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا، ومن بعده نابليون بونابرت، وأخيراً مع غليوم إمبراطور ألمانيا.

وقد أدرك هذا الرجل أن هتلر لن يقف بمطالبه عند حد، وأن تحركاته - وإن جاءت محدودة - تشكل جزءاً من مخطط واسع مترامى الأطراف من شأنه فى النهاية أن يؤدى إلى أن تحطم ألمانيا جميع موازين القوى فى أوربا. ونتيجة لذلك كان تشرتشل هو الزعيم الإنجليزى الوحيد الذى أدان اتفاق ميونيخ. وسخر علناً من الزعم بأن تشمبرلين قد جاء لبريطانيا بالسلام. وأطلق على هذه الاتفاقية اسم «الهزيمة الكاملة الشاملة».

والواقع أن تشرتشل قد فطن مبكراً إلى ما يخفيه هتلر من مطامع، وما حدده للنازية من أهداف برغم أنه لم يكن عضواً فى الحكومة، ولم يكن سوى واحد من مجموعة صغيرة من الوطنيين أخذت تحذر من الخطر الماثل فى أفق أوربا، وهو ما أطلقت عليه وصف «العاصفة التى تتجمع فوق القارة».

غير أن الرأى العام البريطانى لم يشأ أن يصغى إليه، بل كان هناك من راح يوجه إليه الاتهام بأنه رجل مثير للقلاقل والحروب، وأنه استعمارى قديم؛ فلما صدق تحذير تشرتشل، واشتعلت نيران الحرب، ودارت فيها الدائرة على بريطانيا التى أصيبت بضربات قاصمة، منها: استيلاء ألمانيا على الدانمرك، وكارثة القوات البريطانية فى دنكرك. إذا بالشعب البريطانى ينقلب على تشمبرلين، ويسلم قياده لونستون تشرتشل الذى رفع منذ اليوم الأول لتوليه رياسة الحكومة شعاراً مغرقاً فى أعلى درجات التشاؤم، هو «ليس لدى ما أقدمه سوى الدم، والعرق والدموع».

ولقد أدرك تشرتشل منذ البداية أن بريطانيا لا قبل لها بمفردها – وخاصة بعد سقوط فرنسا – بمواجهة قوات ألمانيا النازية . وقد تنفس الصعداء عندما قرر هتلر وقف محاولة غزو الجزيرة البريطانية فى أعقاب مرحلته الأولى التى أحبطها سلاح الطيران الملكى ببسالة رجاله ، وأصدر أوامره بتحول القوات الألمانية إلى الجبهة الشرقية .

وفى هذه الفترة بالذات وضع رئيس الوزراء البريطانى نصب عينيه هدفاً رئيسياً هو عدم الاكتفاء بتلقى المساعدات الأمريكية فحسب ، بل العمل على جر أقدامها لدخول الحرب : حتى بتدبير مؤامرة لذلك ، لكى تتورط بكل ثقلها فيها ، على اعتبار أن ذلك هو السبيل الوحيد لاحتمال إنقاذ بريطانيا من الكارثة .

وهكذا : فإنه عندما أرسلت اليابان فى يوم ١٧ من ديسمبر ١٩٤١ بدون سابق إنذار ثلثمائة وستين من طائراتها المنقضة عبر المحيط الهادى ، لكى تغير على قطع الأسطول الأمريكى الراسية فى قاعدتها فى جزر هاوى وتغرقها . أيقن ساعتها أن خطته قد نجحت . وأن أمريكا داخلة الحرب لا محالة .

والواقع أنه بعد أن كشفت الوثائق الرسمية السرية عن أحداث تلك الفترة من التاريخ ، وأصبح فى الإمكان معرفة أدق تفاصيل سيرها ، وما كان يجرى بشأنها فى الأروقة الخاصة أو وراء الكواليس . يمكن القول بكل ثقة أن الهجوم اليابانى الذى وقع على ميناء (بيرل هاربر) لم يكن أساسا من تدبير (توجو) رئيس الوزراء فى حكومة طوكيو ، ولا من صنع (ياماموتو ناجومو) قائد الأسطول اليابانى أو زملائه من القادة البحريين – بقدر ما كان من نتائج ما رتبه مجلس الحرب البريطانى الذى انعقد فى لندن فى منتصف شهر يوليو ١٩٤١ .

ولقد كان تشرتشل فى مجلس العموم البريطانى يتحدث محاولا إثارة العزيمة الأمريكية عندما وقع الهجوم اليابانى ، فلما اقترب منه الأميرال فيليبس قائد أسطول الشرق الأقصى وأسر فى أذنه بالنبأ ، إذا به يكاد يطير فرحاً ، ولم يتمالك من أن يهتف بأعلى صوته قائلا : «لقد تورطت أمريكا الآن فى الحرب حتى الأذقان ، وسنكون معاً فى الموت أو الحياة ! . »

الفصل الرابع

بريطانيا تواجه وحدها خطر الغزو

راحت الصحف البريطانية فى الفترة السابقة على ذلك بإيعاز من تشرتشل بطبيعة الحال تحاول جاهدة بكل ماتملك من أساليب إخراج الشعب الأمريكى عن جموده وعدم اكتراثه لما يحدث فى أوربا .

والواقع أن الوضع الدولى كان فى تلك الأثناء باعثاً على منتهى درجات اليأس بالنسبة لبريطانيا : ذلك أن كلا من يوغوسلافيا واليونان اضطرتا إلى قبول الهدنة ودخلتها قوات المحور ؛ كما راحت دبابات (روميل) تذرع أراضى أفريقيا فى كل اتجاه مولية وجهها شطر الحدود المصرية .

أما روسيا التى لم يكن قد مضى عليها فى الحرب سوى شهر واحد فإن القوات الألمانية كانت قد فرغت من تقويض خط (ستالين) الذى كانت تعول عليه فى الدفاع عن نفسها ، ثم أخذت هذه القوات تشق طريقها بسهولة فى طريقها إلى لينجراد وكييف وموسكو .

وفى ذلك الوقت كانت تجرى فى مجلس الحرب البريطانى مناقشة هذا الوضع على أعمق ما تكون المناقشات وأكثرها صراحة : فقد علق (ماجرسون) نائب وزير الحرب آن ذاك على سير الحرب قائلاً : « إن دخول روسيا الحرب لم يخفف شيئاً من العبء الثقيل الملقى على عاتق بريطانيا ، بل العكس هو الصحيح . حقاً إن الجيوش السوفيتية التى يبلغ تعدادها مائة وستاً وثمانين فرقة وتتصدى للغزو النازى تُعطِّل أمامها عدداً من الفرق الألمانية يناسبها ، ولكن إذا قدر للمقاومة السوفيتية أن تتوقف – وذلك أمر لا مفر منه – فإن تلك الجموع الهائلة من القوات النازية سوف تتحول حتماً ناحية الغرب ، وتنقض هذه المرة على الجزيرة البريطانية ! » .

وتدخل أنطونى إيدن الذى كان وزيراً للخارجية ، فقال وقد بدا عليه الخوف : « من رأيى

أن نلبى طلب المساعدة الذى تقدم به إلينا ستالين » .

وهنا تحدث تشرتشل موضحاً فقال : « إن السوفييت يريدون منا أن نبعث إليهم بمقادير ضخمة من الذخائر والإمدادات ، على حين أن هذه تنقص جيوشنا . وهم يتقدمون إلى الولايات المتحدة طالبين مساعدات مماثلة ، فى حين أننا فى حاجة ماسة إلى هذه الإمدادات وأولى منهم بها . ثم إن السوفييت يطلبون من بريطانيا إنزال قواتها فى أوربا دون أن يقيموا وزناً لما سوف تتعرض له هذه القوات حتماً من أخطار ، ولما سوف يترتب على ذلك من نتائج ، لمجرد أنهم يرغبون فى فتح جبهة جديدة تخفف الضغط عليهم . ومن الغريب أن أولئك الذين يطلبون كل ذلك من الإمبراطورية البريطانية هم الذين كان تقسيم هذه الإمبراطورية موضوع المحادثات التى دارت بينهم وبين هتلر ! » .

وقال سير (جون ديل) رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية : « إن هذه الاعتبارات – ولو أنها شىء مشروع – لن تحسن الموقف . على أن فتح جبهة جديدة فى أوربا أمر ينبغى استبعاده تماماً نظراً إلى الضعف الذى عليه قواتنا الآن : فنحن لا نستطيع – من أجل نجدة الروس – أن نسمح لأنفسنا بأن نأخذ جندياً واحداً ، أو طائرة واحدة من القوات التى تدافع حالياً عن بريطانيا التى يقع عليها تهديد مباشر : ذلك أن الألمان يكفيهم – لكى يقوموا بغزو ناجح لهذه البلاد – استخدام قواتهم التى أصبحت لا عمل لها فى البلقان الآن بعد أن استسلمت اليونان ويوغوسلافيا » .

وهنا تساءل (هربرت موريسون) وزير الأمن الداخلى ، وقد بدأ عليه الانزعاج : « ما القوات التى تلزم النازيين فى محاولة ناجحة للنزول فى الجزيرة ؟ » فاجاب (جون ديل) : « إن رؤساء أركان الحرب قد أجروا عدة تقديرات وعمليات حسابية خرجوا منها بأن الألمان تكفيهم ست فرق مدرعة ، وألفان وأربعمائة دبابة للقيام بهذه العملية . وهذه الفرق والمعدات جاهزة لديهم تماماً للعمل . أما نحن فعلى عكس ذلك : ليست لدينا سوى ثلاث فرق مستعدة ، إلى جانب نصف عدد الدبابات الألمانية ، فضلاً عن أن هذه الفرق الثلاث ليس فى حوزتها غير نصف العدد الضرورى من المدافع المضادة للدبابات ، كما أنه ليست لدينا تشكيلات جوية مدربة تدريباً كافياً على عمليات قذف القنابل من ارتفاع منخفض ، وهى التشكيلات اللازمة للتعاون مع الجيش فى صد الغزو الألمانى » .

وتدخل (بيفر بروك) محتداً : « إلا أننا نسيطر تماماً على البحر . وفى مقدورنا تدمير الحملة

الألمانية قبل أن تبحر قاصدة إلينا ، أو فى القليل قبل وصولها الى شواطئنا » .

لكن الرد الذى أجاب به رئيس الأركان كان ينطوى على الكثير من المرارة والنقد أخفاهما البرود الإنجليزى التقليدى : « لقد سبق أن قللنا من قدرة الألمان فى بلجيكا والنرويج ، وقد اتضح لنا من سير الحرب فى ليبيا والبلقان ، أنهم يستطيعون تخطى أكبر العقبات . فدعونا لا نقع فى الخطأ نفسه مرة أخرى » .

* * *

خيم على مجلس الحرب البريطانى عقب هذه العبارة اللاذعة صمت استطال بضع دقائق لم ينبث أن بدده (كليمنت آتلى) الذى كان يومئذ حاملاً للأختام بسؤال وجهه إلى رئيس الأركان قائلاً : « ومارأى هيئتكم فى هذه الحالة فيما يجب علينا القيام به ؟ »

وفى غير تردد أجاب سير (جون ديل) : « علينا أن نركز كل قواتنا للدفاع عن هذه الجزيرة ، ويتعين علينا عند اللزوم الخروج من مصر ، وأن ننسحب من الشرق الأقصى . إن ضياع مصر قد يكون بالنسبة لبريطانيا واحدة من النكبات الكبرى لن نفيق منها إلا إذا نحن استمتنا فى القتال . غير أن هذا الضياع لن تكون فيه نهاية للحرب ، أما الذى سينهى الحرب بالنسبة لنا فهو الغزو الألمانى لهذه البلاد الذى ستجىء معه حتماً الهزيمة النهائية : فالحرب إذن سوف يتقرر مصيرها فى المملكة المتحدة ، وليس فى مصر أو فى الشرق الأقصى » .

وهب (روبرت منزيس) رئيس وزراء أستراليا يعارض هذا الاتجاه ، وكان قد انضم بصفة استثنائية إلى عضوية مجلس الحرب البريطانى : ذلك أن الانسحاب من الشرق الأقصى كان معناه فى نظره التخلى عن أستراليا ، وعن نيوزيلندا ، وعن الهند ، التى سوف تقع بالضرورة لقمة سائغة لألمانيا واليابان .

وفضلا عن ذلك فإن (منزيس) كانت لديه أسباب أخرى تجعله يعارض تشرتشل ؛ إذ لم يكن مرتاحاً أو راضياً عن تشكيل مجلس الوزراء ، وكان يشكو من أن رئيس هذا المجلس يتمتع بقدر كبير من السلطات يستطيع بها أن يغير مجرى الحرب ؛ كما أنه كان قد طالب بضم رؤساء وزراء دول الدمنيون الأخرى من أمثال (ماكنزى كنج) و (الجنرال سمطس) و (فريزر) ، ولكن تشرتشل رفض هذا الطلب .

وقد وضع حد لهذا الخلاف بين رئيس وزراء أستراليا وبين ونستون تشرتشل بعد ذلك ببضعة أسابيع ، إذ استقال منزيس ، وعين (فادين) خلفاً له ؛ إلا أنه فى ذلك الاجتماع

الحاسم لمجلس الحرب البريطانى بدا كأنما قد قرر تشرتشل أن يزيل أى عقبة تقف فى طريقه ؛ إذ قال : «إن خروجنا من مصر أو الشرق الأقصى قد يظهر أنه أمر لا غنى عنه فى الشهور القادمة . ومع ذلك فإنه سيكون تضحية مؤلمة تحتم علينا البحث عن وسيلة أخرى يمكننا بها الخروج من هذا المأزق ، ونعيد التوازن فى سير هذه الحرب . وهذه الوسيلة فى رأيى هى جعل الولايات المتحدة تقف إلى جانبنا فى هذا التوازن بكل ما لديها من قدرات حربية وصناعية » .

فقال (إيدن) متباكياً : «إن الولايات المتحدة – بالرغم من مساعداتها لنا ولحلفائنا – لن تتركنا نجتذبها إلى أتون الحرب ! » .

وهنا كشف تشرتشل عن أمر كان لا يزال سراً فقال : «إن هناك عدداً غير قليل من الأمريكيين يودون لو يأخذون دوراً إيجابياً فى الحرب ، منهم : هارى هوبكنز ، وستيمسون ، ونوكس . والجنرال مارشال ، وروزفلت نفسه . فهم يدركون أن هذه هى الطريقة (الوحيدة) التى تتيح لهم إنقاذ مصالح الولايات المتحدة ، سواء فى أوربا أو فى المحيط الهادى » .

ومضى إيدن فى تململه قائلاً : «إن هؤلاء الأمريكيين لابد لهم من عرض الأمر أولاً على الكونجرس الذى يتردد طويلاً أمام خطوة مماثلة ! إن القانون الخاص بتغيير نص فى الدستور الأمريكى قد تمت الموافقة عليه بأغلبية لا تذكر ؛ كما أن قانون فرض التجنيد الإجبارى لم يمر إلا بفضل صوت واحد» .

وعند ذلك ابتسم تشرتشل ابتسامة غريبة ، وقال وكأنه يفكر بصوت مرتفع : «إن هجوما يابانيًّا غادراً يقع على الولايات المتحدة سوف يسهل لنا الأمور إلى حد بعيد ، ويحل جميع المشكلات التى تحيط بنا ! » .

هتلر راجع مع الجنرال فون مانشتاين خريطة التحركات التى ينتظر أن تقوم بها القوات الألمانية توطئة للهجوم على الأراضى الفرنسية

الجنرال كيتل وقرينته مع سفير فرنسا فى برلين أندريه فرنسوا بونسيه ، يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٨

وكان السفير الفرنسى يرى فى ذلك الوقت أن مفتاح السلام فى روما ، وليس فى برلين

obeikandl.com

الفصل الخامس

كيف تتورط أمريكا فى الحرب

فى اليوم التالى كان مجلس الحرب البريطانى مازال منعقداً ، فقد استمرت المناقشات فيه بعد أن كشف تشرتشل عن فكرة الهجوم اليابانى الذى ينبغى وقوعه على أمريكا ، فيكون ذريعة لدخولها فى الحرب .

ولم يقتنع السير (إيمرى) وزير الدولة لشئون الهند وبورما بالفكرة لعدم إمكان تنفيذها قائلاً : «إن اليابان ليس من مصلحتها نقل الحرب إلى المحيط الهادى ، كما أنها أقل رغبة فى أن تكون هذه الحرب بالذات ضد الولايات المتحدة ، لأن معناها الانتحار بالنسبة لها ، والتراجع عن سياسة الصداقة الأمريكية اليابانية التى تمضى قدماً منذ أكثر من عشرة أعوام» .

فقال تشرتشل الذى كان قد أمضى بضع ساعات من الليلة الماضية فى دراسة تاريخ العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة ، وهو يدافع عن فكرته : «ومع ذلك فإن اليابان منهمكة فى حرب استعمارية منذ خمس سنوات ضد الصين ، وهى تمارس هذه الأيام ضغطاً شديداً على فرنسا ، لكى تحصل على قواعد جوية لها فى الهند الصينية ، وليس ذلك بطبيعة الحال من مصلحتنا ولامن مصلحة الولايات المتحدة» .

أجاب (إيمرى) : «لا أعارض فى أن الميكادو قد تكون لديه رغبة فى أن يضمن لنفسه مزيداً من الأراضى خلال التسوية المقبلة للأجزاء المختلفة من العالم ، إلا أن ما أعرفه ، هو أن الأمير (كونوى) رئيس الحكومة اليابانية قد حال دائما دون وقوع أى عدوان من جانب الجيش اليابانى على الممتلكات البريطانية أو الهولندية» .

ولما كان تشرتشل رجلاً يفقد أعصابه كلما واجه معارضاً قوى الشكيمة فإنه صاح فى انفعال شديد : «هل ترانا نعتبر دخول اليابان عضواً فى «الميثاق الثلاثى» دليلاً على صداقتها لنا ؟» غير أن (إيمرى) لم يتزحزح عن موقفه أمام رئيسه الغاضب ، بل استطرد قائلاً : «إن

الكثيرين فى بلاد الشمس المشرقة مقتنعون بأن الميثاق الثلاثى كان خطأ جسيماً وقعوا فيه . وبعد فإن تحالف اليابان مع ألمانيا وإيطاليا هو رد الفعل الطبيعى لتدخل روسيا فى الحرب الصينية اليابانية بإرسالها عصابات شيوعية مسلحة وعدة وحدات من الجيش السوفيتى للعمل فى القطاع الذى على الحدود بين مانشوكو ومنغوليا الخارجية » .

وضاقت عينا ونستون تشرتشل ، ولمع فيهما بريق المكر والدهاء وقال فى لهجة حاسمة كأنه يريد أن ينهى الحديث : « لقد كنت أؤيد اليابان فى حربها مع روسيا ؛ كما رحبت بعقد المعاهدة البريطانية اليابانية التى سبقتها ، وأسعدنى أن اليابان وقفت إلى جانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ؛ مما أتاح إبعاد ألمانيا عن الشرق الأقصى ، فضلاً عن أننى اشتركت بعد ذلك فى إنهاء التحالف بين بلادنا واليابان ، وهو التحالف الذى أفدنا منه قوة ونفوذاً . ولكن اليوم – ونحن إزاء الاختيار بين صداقة اليابان أو صداقة الولايات المتحدة ، بل ونحن أمام مصالحنا الخاصة – فإننى أعرف الطريق الذى يتعين السير فيه ! »

* * *

والواقع أن اليابان لم يكن لديها أى رغبة فى إنهاء حالة السلام التى كانت قائمة بينها وبين الولايات المتحدة . حقاً إن الطبقة العسكرية فيها بزعامة البارون (هيرانوما) والجنرال (هاتا) كانت تتطلع إلى انتهاز فرصة الأحداث الجارية فى أوربا ؛ لكى تؤسس نظاماً جديداً فى شرق آسيا عن طريق الاستيلاء على الهند الصينية الفرنسية ، وعلى الملايو ، والمستعمرات الهولندية ، إلا أن هذه المطامع كانت تلقى معارضة شديدة من جانب الحكومة ، وكذلك من جانب قادة البحرية اليابانية .

ذلك أن العسكريين فى اليابان كان لهم نفوذ ضخم فى الحكومة بموجب دستور صدر عام ١٨٨٩ ، ومن ذلك أن كلاً من وزيرى الحربية والبحرية لابد أن يكونا من العسكريين . الأمر الذى جعل لهذه الطبقة الكلمة الحاسمة فى هذا الشأن . وكان يكفى أن ترفض هيئة أركان الحرب ترشيح هذين الوزيرين فى أى حكومة ، أو أن تسحبهما من الحكومة القائمة ؛ حتى تنهار وتجىء إلى الحكم الجماعة السياسية المناهضة .

وقد اكتسب الجيش اليابانى - ابتداء من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ : أى فى فترة الميثاق المناهض للكومنترن ثم خلال الحرب ضد الصين – الأولوية داخل الحكومة بعد أن قام بينه وبين البحرية نزاع مكشوف يرجع سببه إلى أن ضباط الجيش قد تلقوا تدريبهم فى ألمانيا ،

وأصبحوا يدينون بالمذاهب الوطنية المتطرفة ، على حين أن ضباط البحرية تلقوا تدريبهم فى بريطانيا ، فكانوا أقل تعصباً من الناحية الأيديولوجية ، ويكنون الاحترام للأسطولين البريطانى والأمريكى .

وعندما نشبت الحرب فى أوربا كان البارون (هيرانوما) رئيس مجلس الوزراء يريد أن تخوضها اليابان فوراً إلى جانب ألمانيا ، لكن لم يستطع عمل ذلك من جراء المعارضة التى لقيها من جانب الأميرال (يوناى) وزير البحرية اليابانية الذى أقنع الإمبراطور والمجلس الخاص بجدوى بقاء اليابان على الحياد . وإزاء ذلك اضطر رئيس الوزراء إلى الاستقالة ، فتألفت الحكومة الجديدة برياسة وزير البحرية الذى اتبع هو نفسه منذ اليوم الأول سياسة التهدئة .

وفى شهر يوليو ١٩٤٠ خرج (يوناى) من الحكم ، وخلفه الأمير (كونوى) الذى كان بالرغم من إخلاصه الشديد للإمبراطور ، له نفوذ كبير على طبقة العسكريين . وقد وصفه تشرتشل بأنه سياسى ممتاز يحوز التقدير التام ، وكانت طريقته فى إرضاء الجيش اليابانى أن يقدم له ترضيات رمزية ، دون أن يسمح له بأن يسوق البلاد إلى الدخول فى حرب من الحروب الكبرى .

وبينما كانت الحرب على أشد ما تكون فى أوربا استطاع رئيس الوزراء اليابانى الحصول على موافقة الحكومة لاقتراح الدخول فى مفاوضات سلام مع الولايات المتحدة ، وبمعنى آخر : للإبقاء على العلاقات السلمية القائمة بينهما .

* * *

وفى هذه الأثناء بالذات كان ونستون تشرتشل يدبر لإفساد هذه العلاقات ، ويبدو أن تدبيره بدأ يؤتى ثماره ، لأنه بالرغم من أن الولايات المتحدة كانت فى البداية حريصة مثل اليابان على الحفاظ على ما بينهما من مسالمة ، إذا بنتيجة المحاولات التى قام بها رئيس حكومة طوكيو فى سبيل إبعاد خطر وقوع نزاع مسلح فى المحيط الهادى – أنه تلقى من الرئيس الأمريكى روزفلت يوم ٢٠ من يوليو ١٩٤١ رداً جافاً تضمن عدداً من المطالب الاستفزازية ، منها : أن تتخلى اليابان عن أى فكرة توسعية فى الهند الصينية ، إلى جانب إنذار بضرورة سحب جميع قواتها المرابطة على حدود الصين .

وإذ رفضت اليابان أن تكون هذه المطالب أساساً لبدء المفاوضات ، أصدرت حكومة الولايات المتحدة قراراً بتوقيع العقوبات الاقتصادية على إمبراطورية الشمس المشرقة نزولاً

بطبيعة الحال على تحريض من تشرتشل .

وبدورها أعلنت بريطانيا مثل هذه العقوبات ، وتبعتها هولندا فى ذلك ، فأيقنت اليابان أنها ستحرم بين يوم وليلة من البترول والموادّ الأولية الضرورية لحياتها . إلى جانب وقف علاقاتها التجارية الواسعة مع أمريكا ! .

ويوم أعلنت هذه العقوبات الجماعية على اليابان سجل تشرتشل فى مذكراته العبارة التالية : «من الواضح أن مانقصده هو أن ترى اليابان فى ذلك إجراء نسعى به إلى خنقها ، وأن الولايات المتحدة بالذات تريد إجبارها على أحد أمرين : إما توقيع اتفاقية بححفة . وإما حملها حملاً على دخول الحرب» .

ومع أن الإهانة التى لحقت باليابان كانت بالغة ، الأمر الذى جعل هيئة أركان الحرب فيها تقرر ضرورة إزالة هذه الإهانة بحد السلاح ، وجعل البحرية تتراجع عن موقف الاعتدال الذى تتبعه ، ويقضى بالحيلولة دون التورط فى الحرب - فإن الرئيس (كونوى) تمكن فى اجتماع مجلس الوزراء الذى انعقد فى طوكيو يوم ٣٠ يوليو من إقناع المجلس بضرورة الاستمرار فى ضبط النفس ، مما بات معه مؤكداً عدم نشوب حرب بين الولايات المتحدة واليابان ، لو أمكن لهذه الأخيرة التوصل إلى اتفاق دبلوماسى معقول .

* * *

غير أن لندن أخذت تدرس كيف تجعل اليابان ترد بعنف على قرارات فرض العقوبات الاقتصادية عليها ، والطريقة التى يمكن بها توسيع رقعة الحرب الدائرة . وقد جرت هذه الدراسة فى اجتماع جديد لمجلس الحرب البريطانى .

وعندما عقد هذا الاجتماع وقف تشرتشل والشرر ينبعث من عينيه وقال : «إن لدى تأكيداً بأنه لو وقع هجوم يابانى على أى ممتلكات بريطانية فإن الولايات المتحدة ستدخل فوراً الحرب ، وسوف أكون سعيداً لذلك . غير أنى سأكون أكثر سعادة لو وقع الهجوم على أمريكا نفسها !

والواقع أن أفكار رئيس الوزراء البريطانى كانت قد تطورت منذ اجتماع مجلس الحرب الأول ، فأصبحت من الخطورة بحيث إنه كان هو نفسه يشعر بالخوف من الإعراب عنها علناً . وكان هذا الخوف من الرأى العام الأمريكى بالذات . وكان ذلك هو السبب الذى جعله يترأس قبل ذلك ببضعة أيام - أى يوم ٢٤ يوليو ١٩٤١ - اجتماعاً سرياً فى ١٠ داوننج

ستريت حضره رؤساء أركان الحرب البريطانيون ، وعدد من المبعوثين الخصوصيين للرئيس الأمريكى روزفلت ، وهم هارى هوبكنز ، والأميرال (جورملى) ، والجنرال (شاتى) الذين أبلغوه أن أمريكا قد اتخذت بالفعل قرارها بدخول الحرب .

وفى هذا الاجتماع اتفق على تكتم هذا القرار ، وضرورة أن تتظاهر كل من بريطانيا والولايات المتحدة بالهدوء تاركتين الفرصة لليابان للبدء فى التحرك ، وتوجيه الضربة الأولى . ولاستعجال هذا التحرك ، ولكى تستثار اليابان وتخرج عز طورها ، فإن تشرتشل أصدر فى ذلك اليوم قراراً بإنشاء أسطول بحرى بريطانى يعمل فى الشرق الأقصى ، وعين له قائداً هو السير توم فيليبس نائب رئيس أركان القوات البحرية .

وزيادة فى الاستفزاز جعل عدة سفن حربية تبحر بالفعل فى طريقها إلى بحر اليابان هى البارجة (برنس أوف ويلز) ، والمدمرة (ريبالس) ، وحاملة الطائرات (إندوميتابل) ، وأربع زوارق للطوربيد ، على أن تلحق بها بعد أيام قليلة خمس مدمرات ، وعشرون طراداً .

* * *

غير أن اليابان ظلت مع ذلك متمسكة بأهداب الصبر ، وجاء شهر أكتوبر وما زال (كونونى) رئيس الوزراء يحاول التوصل إلى تسوية سياسية معقولة يمكن بها المحافظة على السلام . فلما أيقن أن كل جهوده فى هذا الصدد لا فائدة منها ولا طائل من ورائها ، وأن مساعيه الدبلوماسية التقليدية ذهبت هباء ، أقدم على خطوة غير عادية ؛ إذ طلب أن يذهب بنفسه للقاء خاص مع الرئيس الأمريكى روزفلت .

وأسقط فى يد روزفلت ، وبعث يستشير ونستون تشرتشل فى موضوع هذا اللقاء ، فأجابه هذا بأن إتمامه سوف يعتبر تمهيداً لنوع من الاتفاق يعقد بين اليابان والولايات المتحدة ، ومثل هذا الاتفاق إذا تم ، يكون عقبة أكبر فى سبيل خططه ومشروعاته . ونزولاً على هذه المشورة أعلن روزفلت أنه يرفض فكرة الرئيس اليابانى الذى لم يجد مفراً إزاء هذا الموقف سوى الاستقالة .

عند ذلك خلفه فى الحكم رجل قوى هو (توجو) الذى كان قبل ذلك وزيراً للحربية ، ولكن الإمبراطور كلفه بالمضىّ فى المفاوضات الدبلوماسية التى توقفت مع أمريكا . وقال له الميكادو وهو يحثه على ذلك : «مازلت أعتقد أن فى الإمكان بذل جهود أخرى لإبعاد خطر الحرب . أما إذا لم نستطع التوصل إلى اتفاق مشرف ، فلن يكون أمامنا سوى استعجال

استعداداتنا العسكرية» .

وتعمدت واشنطون أن تكون المفاوضات التى دارت بعد ذلك مع طوكيو بطيئة لانهاية لها ، إلا أنه وصل إلى الرئيس الأمريكى خلال ذلك نداء استغاثة من تشانج كاى شيك ، يطلب فيه الإسراع بإرسال عدد من طائرات القتال لمواجهة الزحف اليابانى على الهند الصينية ، ثم وصل نداء مماثل إلى رئيس حكومة بريطانيا . ولما لم تكن بريطانيا فى حالة حرب مع اليابان فإنها خشيت أن يفسر إرسال طائرات منها إلى الشرق الأقصى على أنه عدوان صريح ، فضلاً عن أن بريطانيا لم تكن تمتلك فى تلك المنطقة قوات يمكن الاستغناء عنها تاركة مهمة الدفاع عن ممتلكاتها الآسيوية .

وإذ كان هدف تشرشل موالاة عملية استفزاز اليابان فإنه بعث يوم ٥ نوفمبر ١٩٤١ رسالة إلى روزفلت يطلب منه فيها تلبية نداء تشانج كاى شيك ، ويرسل إليه المساعدات المطلوبة ، إلا أن الرئيس الأمريكى خشى مغبة تحمل مثل هذه المسئولية أمام الرأى العام فى بلاده الذى كان مازال غير راغب فى الاشتراك مباشرة فى الحرب ، كما أن رئيس أركان حربه الجنرال (مارشال) قد أبلغه أنه لا ينصح بدخول الولايات المتحدة فى النزاع قبل العام التالى مهما كانت الدوافع ؛ حتى تتمكن من إتمام استعداداتها .

وللمرة الأولى يتراجع روزفلت ، واكتفى بأن عرض إرسال عدد من الطائرات الأمريكية إلى الصين بموجب قانون الإعارة والتأجير ، وامتنع عن كل عمل من شأنه الإساءة إلى المفاوضات التى كانت لا تزال تجرى حتى ذلك الوقت مع اليابان ، والتى لم يكن لواشنطون غرض منها سوى كسب الوقت الذى يحتاج إليه الجنرال مارشال ؛ ليكون مستعداً تماماً للحرب .

الفصل السادس

مجلس الحرب يعد فخا لليابان

كان ونستون تشرتشل فى هذه الأثناء ينتظر متربصاً ؛ فقد كانت المسألة بالنسبة له أخطر لعبة شطرنج يلعبها فى حياته . وكان أكثر ما يقلقه هو أن تسير شئون السياسة والحرب فى غير مصلحة بريطانيا ، وكان يعرف تماماً أنها بالفعل تسير فى هذا الاتجاه .

ومما زاد فى قلقه أن الرأى السائد بين رؤساء وزارات الدومنيون قد أصبح مجمعاً بعد أن استمعوا إلى أفكاره فى اجتماعات مجلس الحرب ، على أنه لا مفر لبريطانيا من الهزيمة النهائية إلا إذا هم أدخلوا الولايات المتحدة الحرب وأغرقوها فى أتونها ! ومن أجل هذا الغرض بعث الجنرال سمطس رئيس وزراء جنوب أفريقيا فى ذلك العهد رسالة عنيفة إلى تشرتشل ، يطلب منه فيها صراحة تنفيذ ما وعد به من جعل الأمريكيين ينزلقون إلى المعركة .

ورد عليه رئيس الوزراء البريطانى بخطاب يحمل فى طياته معانى كثيرة إذ قال : « لست أشاركك فى الرأى فى أن أبعث استعطافاً لكى يقرأه روزفلت . فيعلن دخول الحرب ؛ ذلك أننا يجب أن نقدر الصعاب التى يواجهها من الناحية الدستورية ؛ فهو يستطيع التصرف كرئيس للدولة ، لكن الكونجرس وحده هو الذى يعلن الحروب » .

* * *

وفى يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٩٤١ ، وصل وفد يابانى ذو مستوى عال يتكون من السفير (تامورا) والوزير (كوروزو) بتفويض خاص من توجو رئيس الوزراء ، فى محاولة للتوصل إلى اتفاقية مع الحكومة الأمريكية .

والواقع أن هذا الوفد حمل معه عروضاً سخية ومقبولة تماماً : فقد تضمنت اقتراحاً بأن تنسحب القوات اليابانية من جنوبى الهند الصينية إلى أن يتم توقيع اتفاق عام مع الصين ، أو أن تنسحب هذه القوات كلية من الهند الصينية إذا أمكن استتباب السلام فى المحيط الهادى .

ولم تطلب اليابان فى مقابل ذلك سوى ترك شحنات البترول تصل إليها ، وإعادة العلاقات التجارية بين البلدين ، ووقوف أمريكا على الحياد فى النزاع الصينى اليابانى .

ودرست وزارة الخارجية الأمريكية هذه المقترحات ، فلم يجد فيها (كوردل هول) وزيرها ما يمكن الاعتراض عليه سوى تفاصيل صغيرة حول عملية انسحاب القوات اليابانية يمكن تسويتها بسهولة ، لكنه قبل أن يتعهد للوفد اليابانى بشىء أراد أن يعرف رأى صديقه تشرتشل فى الأمر ، ولذلك راح يؤجل فى توقيع الاتفاقية بكل ما عرف عنه من براعة ومقدرة فى التسويف .

وفطن رئيس الوزراء اليابانى فى طوكيو لهدف وزير الخارجية الأمريكى ، ثم جاءته أنباء الاستعدادات العسكرية السرية التى يقوم بها الجنرال مارشال ، ومن شأنها جعل الجيش الأمريكى فى عام ١٩٤٢ قوة هائلة لا تقهر .

عند ذلك بعثت الحكومة اليابانية إلى وفدها فى واشنطون ببرقية كانت فيما بعد هى الأساس الذى قام عليه التحقيق الذى أجراه مجلس الشيوخ الأمريكى عام ١٩٤٦ ، حول موضوع ضرب ميناء بيرل هاربر . أما محتويات البرقية فكانت كما يلى : «لأسباب متعددة ، من الضرورى للغاية أن يتم التوقيع على الاتفاقية قبل يوم ٢٥ من الشهر الجارى » .

كانت البرقية واضحة لا غموض فيها ، ومع ذلك استندت عليها المعركة الرياسية الأمريكية عام ١٩٤٤ التى كان أحد المرشحين فيها (ديوى) الذى وجه خلالها اتهاماً صريحاً إلى الرئيس روزفلت وأعوانه بأنهم كانوا يعلمون مقدماً بتاريخ العدوان اليابانى على ميناء بيرل هاربر ومكانه . ولكنهم لم يتخذوا أى قرار من شأنه تجنيب البلاد الأضرار الجسيمة التى أسفر عنها هذا الهجوم ، وأنهم ضحوا بذلك العدد الكبير من السفن الأمريكية التى أغرقت ، وبالقتلى الذين سقطوا خلال الهجوم ، ليجعلوا من ذلك مبرراً لدخول الحرب .

* * *

وتلقى الوزير اليابانى (كوروزو) وهو مازال مقيماً فى واشنطون بعد هذه البرقية رسالتين تاليتين تحملان المعنى نفسه ، ثم رسالة ثالثة أكثر وضوحاً تقول : «لا تسمحوا للأمريكيين بالتسويف لأكثر من ذلك ، ولا تتيحوا لهم تعويق سير المفاوضات » .

وقد بدا أن وزارة الخارجية الأمريكية تميل بشكل ظاهر إلى قبول العروض اليابانية ، مما حدا بطوكيو إلى إبلاغ وفدها بمد المهلة خمسة أيام أخرى أى إلى اليوم التاسع والعشرين من

نوفمبر قبل قطعها بصفة نهائية .

وفى هذه الأثناء كان تشرتشل يتابع باهتمام شديد تفاصيل المفاوضات ، فأحس بالإحباط بعض الشيء . وقد وجدت فى مذكراته فيما بعد العبارة التالية عن ذلك : «إن هناك حدوداً يجب أن أقف عندها فى توجيهى للسياسة الأمريكية ، إذ إنه من أخطر الأمور أن يعرف الشعب الأمريكى أننا نحن الإنجليز نريد جره عنوة إلى الحرب ! »

وقد امتنع بالفعل عن الزج بأنفه فى سير المفاوضات اليابانية الأمريكية ، ولكنه عمد إلى دفع الحكومتين الهولندية والأسترالية للقيام بذلك ، ثم أضاف إليهما تشاينج كاى شيك ، فجعله يبعث بمذكرة شديدة اللهجة إلى واشنطون يعتب عليها فيها تخليها عنه على حين أنها سنده الوحيد ! وبعد ذلك بعث هو نفسه إلى روزفلت رسالة يوصيه فيها ببراعة شديدة بألا يترك الصين لمصيرها المحتوم .

وبرغم علم روزفلت وأعوانه أن هذا التدخل جاء بناء على توجيهات رئيس الوزراء البريطانى فإنه أصدر أمراً إلى (كوردل هول) وزير خارجيته بأن يستدعى الوفد الياباني يوم ٢٧ نوفمبر ، ويبلغه الشروط الجديدة التى تمنيها الحكومة الأمريكية ، وتتضمن انسحاب جميع القوات اليابانية من الصين بدون قيد ولا شرط ، وخروج هذه القوات من جميع أجزاء الهند الصينية . ولم تشمل هذه الشروط ما قد يعتبر مقابلاً لها ، بل تجاهلت كذلك مجرد النص على النظر فى تخفيف الحصار الاقتصادى المضروب على اليابان .

وأصيب السفير الياباني (نامورا) بالذهول وهو يستمع إلى الشروط الأمريكية . ومع أنه كان قد أمضى سنوات طويلة يعمل فى السلك الدبلوماسى مما جعله يتمتع بفضيلة ضبط النفس فإنه فى ذلك اليوم التاريخى لم يستطع أن يخفى انفعاله ، فقال قبل أن يغادر قاعة المفاوضات : «سيدى . إن الحكومة اليابانية سوف تتخذ إجراءات سريعة . لوضع نهاية لكل هذا ! »

* * *

ولقد أشرقت أسارير ونستون تشرتشل وهو يقرأ تقريراً عما دار فى هذا الاجتماع ، وتوقع أن يتبع ذلك على الفور قطع العلاقات الدبلوماسية بين اليابان والولايات المتحدة .

والواقع أنه فى ذلك الصباح نفسه من يوم ٢٧ من نوفمبر ١٩٤١ أبرق الجنرال (مارشال) إلى الجنرال وولتر شورت قائد القوات الأمريكية فى جزر هاواى ، وإلى الجنرال (ماك آرثر) القائد العام لقوات الولايات المتحدة فى الفلبين برسالة التالية : «قطعت المفاوضات مع

اليابان نهائياً ، وقبل وقوع أى عدوان من جانبها عليكم باتخاذ جميع التدابير اللازمة بغير أن يتنبه الشعب إلى ذلك ، ودون أن تكشفوا عن الغرض من هذه التدابير» .

وأخذت واشنطون ولندن تشتركان فى فكرة أن اليابان ستبدأ العمل بين لحظة وأخرى ، واستقر رأيهما على أن بحر الصين هو المنطقة التى ستكون مسرحاً لهذا العمل . ونتيجة لذلك بعث وزير البحرية إلى الأميرال (هارت) قائد الأسطول الأمريكى فى الفلبين ببرقية سرية جاء فيها : «هذه الرسالة بمثابة توقع لإعلان الحرب . لقد علمنا بأن اليابان تحرك بعض وحداتها ، ومن عدد هذه الوحدات وطريقة تشكيلها ، ما يحمل على الاعتقاد بأن العمليات الحربية سوف تبدأ فى المنطقة التى بين الفلبين وشبه جزيرة (كرا) » .

وتلقى تشرتشل من اللورد هاليفاكس سفيره فى واشنطون نبأ قطع المفاوضات رسمياً ، فبعث على الفور بتعليماته إلى أنطونى إيدن وزير خارجيته الذى كان فى ذلك الوقت فى موسكو فى مهمة لدى ستالين . وقد جاء فى هذه التعليمات : «لقد تقرر نهائياً ألا نقوم نحن بأى عمل حربى قبل الولايات المتحدة ، ونتوقع أن تواجه هذه سريعاً سلسلة من الأعمال العدوانية اليابانية التى ستكون بمثابة التحدى السافر لأمريكا . وعلينا أن نبلغ هولندا أننا لن نفعل شيئاً إذا وقع هجوم يابانى على ممتلكاتها ، وأن عليها أن تدبر شئونها بنفسها مع واشنطون وطوكيو مباشرة » .

كانت الخطة الدبلوماسية التى رسمها فى صبر وأناة ماضية فى طريقها المحتوم ، ولم يبق أمامها غير القليل لكى تؤتى ثمارها .

الفصل السابع

الهدف : ضرب بيرل هاربر

هناك اعتقاد عام بأن ضرب اليابان لميناء بيرل هاربر الأمريكى هو العملية الحربية الأولى التى دارت فى المحيط الهادى ؛ إذ إنه فى الوقت الذى كان الهجوم على هذه القاعدة قد بدأ فى الساعة ٧,٢٥ من صباح يوم ٧ من ديسمبر تبعا للتوقيت المحلى – كان الغزو اليابانى للملايو قد وقع بعد ظهر يوم ٨ من ديسمبر بقليل .

لكن الحقيقة خلاف ذلك فى ترتيب هذين الحدثين : فهناك تعقيد فى تحديد التتابع الزمنى جاء نتيجة لتداخل التوقيت ، الأمر الذى أدى إلى الالتباس فى ترتيب وقوع الأحداث : فعندما يكون الوقت فى لندن هو الساعة٦,١٠ مساء يكون فى جزر هاواى ٧,٣٠ صباحاً . وعندما تشير الساعة فى جرينتش إلى ٥,٠٠ مساء ، إذا بالوقت فى جزيرة مالقه ١٢,٠٠ ظهر اليوم التالى .

وعلى ذلك يكون الغزو اليابانى للملايو قد وقع قبل ضرب ميناء بيرل هاربر بساعة ونصف الساعة .

* * *

والواقع أن ضرب هذا الميناء كانت له مقدمات مريبة : فى اليوم الخامس من شهر ديسمبر راودت القادة البريطانيين والأمريكيين فى الشرق الأقصى مشاعر قلق عميق بسبب القافلة اليابانية التى كانت تمخر مياه البحر فى ذلك اليوم قادمة من (سايجون) بالهند الصينية ، وتتكون من خمس وثلاثين من سفن الشحن ، وتحف بها ثمانى مدمرات ، وعشرون من زوارق الطوربيد : فلقد كان جليا أن هذه هى العملية التى تقوم بها اليابان للتعمية ، والتى كانت التقارير التى بعثت بها أقلام المخابرات قد سبقتها إلى وزير البحرية الأمريكى ، وعلى أساسها جاء تبليغه إلى الأميرال (هارت) يوم ٢٧ من نوفمبر .

ولقد ظن أولئك القادة فى بادئ الأمر أن الهدف اليابانى هو الفلبين ، إلا أن القافلة غيرت اتجاهها فجأة ، وأخذت تبحر صوب خليج سيام فى طريقها إلى الموانى التى إلى الشمال من سنغافورة ، وعلى الفور اجتمع فى مقر قيادة الجنرال ماك آرثر فى مانيلا بالفلبين كل من الأميرال (فيليبس) قائد الأسطول البريطانى المرابط فى سنغافورة – ويتكون من مدمرتين من أحدث القطع البحرية وحاملة طائرات وأربع سفن طوربيد – والأميرال (هارت) قائد الأسطول الأمريكى المرابط فى مياه الفلبين ، ويتكون من بارجتين ثقيلتين واثنتين خفيفتين ، واثنى عشر طراداً ، وثمان وعشرين غواصة .

كان الاجتماع سرياً للغاية ، وتقرر فيه القيام بعملية مشتركة ، هى مهاجمة القافلة اليابانية وتدميرها قبل أن تبدأ اليابان فى إنزال قوات الغزو إلى الملايو التى كانت ستعرض الجهاز الدفاعى للجنرال تشانج كاى شيك للخطر .

وكان على أسطول الأميرال (فيليبس) البريطانى أن يتحرك بعد أن انضمت إليه أربعة طرادات أمريكية تصادف وجودها فى سنغافورة ، لكى يهاجم اليابانيين من الناحية الجنوبية الغربية ، فيقطع بذلك الطريق على القافلة البحرية . وحتى يعثر القائد البريطانى على تبرير دبلوماسى لهذا العمل العدوانى عليه أن يتذرع قليلاً بالصبر ، وينتظر حتى تجىء الطلقة الأولى من جانب السفن اليابانية .

أما الأسطول الأمريكى الذى يقوده الأميرال (هارت) فعليه أن يخرج من قاعدته فى مانيلا ، ويقوم بمطاردة القافلة اليابانية على ألا يشترك فى القتال ، ويقتصر على منع اليابانيين من التراجع إلى الوراء .

على أن هذه الخطة كان يترتب عليها أن تصبح الفلبين مجردة من أى دفاع فعال ، ولذلك أسرع الجنرال ماك آرثر بطلب إمدادات بحرية ، فأرسلوا إليه حاملتى طائرات وعدداً من السفن الأخرى ، التى كانت قبل ذلك راسية فى بيرل هاربر .

وأما المجموع الأكبر من الأسطول الأمريكى الضخم فكان عليه أن يبقى فى جزر هاواى ، حيث يهدد كل نقطة على الساحل الياباني ، ويستطيع عند اللزوم أن يقيم جداراً هائلاً يمتد من فورموزا حتى جزيرة (ميدواى) ؛ ليحول دون الأسطول الياباني ودخول بحر الصين .

* * *

كانت هذه خطة فى غاية الإتقان مضمونة النتائج إلا أن اليابان بدورها كان لها أقلام

مخابراتها ، ولذلك فإن الأميرال (ناجورا) قرر فجأة أن تغير القافلة اتجاهها ، وتنطلق صوب الجنوب ، فاستطاعت بهذه المناورة أن تعبر البحر فى منتصف المسافة التى بين الأسطولين الأمريكى والبريطانى !

وبعد أن ضللت القافلة اليابانية الأسطول البريطانى انفلتت منه ، وعادت فوجهت مقدمتها نحو سيام . ولو أن هذه المناورة التى تدل على براعة فائقة لم تتم لكانت الحرب بين اليابان والولايات المتحدة قد نشبت يوم ٦ من ديسمبر ١٩٤١ عقب تدمير القافلة وإغراقها . ولذلك عمت الحيرة بين قوات البحرية الأمريكية لعدم نشوبها .

وكان الأميرال (هارنبو كيمبل) على وجه الخصوص – وهو القائد العام للأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى – يشعر بأن متاعبه تتزايد بعد أن فقد كل أثر للأسطول الياباني . وبات يجهل ماذا يفعل ؟ فلقد أبحر ذلك الأسطول يوم ٢٥ من نوفمبر من خليج (هيتاكابو) فى جزر كوريل ، وبمعنى أدق فإن الذى أبحر منه تشكيل كبير يقوده نائب الأميرال (كويشى ناجومو) ، ويتكون من ست حاملات طائرات ، ومدمرتين ، وتسعة طرادات ، وثلاث غواصات .

غير أنه منذ ذلك اليوم بداكما لو أن كل هذه القطع قد اختفت من الوجود ، ولم تنجح الجواسيس ، ولا طائرات الاكتشاف ، ولا أجهزة الرادار فى معرفة مكان ذلك الأسطول . والواقع أن عشرين سفينة حربية مبعثرة فى مساحة واسعة من المياه هى التى تغطى ثمانية عشر مليون كيلو متر مربع بين اليابان وجزر هاواى ، كانت بالرغم من ضخامتها تشبه تلك الإبرة التقليدية التى اختفت فى كومة من القش !

وكان الأميرال (كيمبل) رجلاً هادئ الأعصاب من ذلك النوع الذى يميل إلى التفاؤل ، ولا يحب أن يخلق لنفسه المتاعب دون داع . وقد وقع عليه الاختيار ليشغل هذا المنصب القيادى فى هذا الوقت بالذات من أجل هذه الصفات .

والواقع أنه راح ينظر للأمور كما لو كانت تلوح له من خلال منظار وردى ، على عكس ما كان سيفعله سلفه الأميرال (ريتشاردسون) الذى أبعدوه عن قيادة هذا الأسطول ، لأنه بعث إلى واشنطون تقريراً يؤكد فيه أن بقاء السفن الحربية الأمريكية مكدسة فى بيرل هاربر يعرضها حتماً لأفدح الأخطار !

ومهما كان الأمر فإن (كيمبل) قد كون لنفسه نظرية خاصة به ، هى أنه لما كانت لم تعتزم

بعد السفينة التى لا يمكنها أن تحمل من الوقود إلا ما يكفيها أياماً معدودة – فإن الأسطول الياباني لابد أن يكون قد عاد منذ زمن إلى قواعده ، أو لعله يرسو فى ميناء صغير بعيد ، وتطبيقاً لهذه النظرية فإنه قرر الانتظار إلى أن ترده أنباء جديدة من واشنطون ، أو من أقلام المخابرات .

* * *

بيد أنه فى يوم ٦ من ديسمبر كان نائب الأميرال الياباني (ناجومو) لا يبعد سوى ستمائة ميل عن جزر هاواى ، على عكس ما توقع القائد الأمريكى : فلقد كانت التعليمات التى تلقاها عندما أبحر تقضى بأن يصل إلى هذه النقطة ، حيث يجد فى انتظاره إمدادات ضخمة من الوقود ، ثم يتوقف انتظاراً لأوامر أخرى . أما هذه الأوامر فهى : إما أن يستدير عائداً إلى قاعدته ، وإما أن يوجه إلى الأسطول الأمريكى الضربة القاصمة . وكان هذا الأمر أو ذاك متوقفاً على ما تنتهى إليه المفاوضات الدائرة فى واشنطون .

ولقد ظلت هذه السفن فى ذلك الموقع أسبوعاً كاملاً ، وقد لفتها سحب كثيفة من الدخان على حين يطبق فيها نظام الإظلام التام . وقد بلغ الحذر والحيطة بالقائد الياباني أن أصدر أوامره بعدم إلقاء بقايا الطعام فى مياه المحيط ، حتى لا تكون أثراً تدل عليه . أما أجهزة الراديو فى القوة البحرية اليابانية فقد لزمت الصمت التام ، ولكنها استمرت فى تلقى الأنباء التى يبعث بها الجواسيس فى هونولولو عن تحركات الوحدات البحرية الأمريكية المرابطة فى القاعدة .

وفى بيرل هاربر كان الوضع – بعد إبحار حاملتى الطائرات اللتين طلبهما ماك آرثر – كما يلى : تقف فى الميناء تسع مدرعات ، وثلاث بوارج من طبقة (ب) ، وأربعة طرادات ، وعشرون سفينة من قاذفات الطوربيد ، وثمان وخمسون من القطع البحرية الصغيرة . وجميع هذه السفن تقف جنباً إلى جنب بحيث لا تستطيع التحرك ، وليس لديها أى وسيلة لحمايتها داخل الميناء .

غير أن تقارير كثيرة كانت قد رفعت إلى واشنطون منذ نشبت الحرب فى أوربا وضعها ضباط كبار يشرحون فيها النقص الواضح فى الدفاع عن القاعدة ، ولكنها ذهبت جميعاً أدراج الرياح ! ولكن كيف جاز للحكومة الأمريكية أن تهمل عمداً الوضع البالغ الدقة الذى قد تصبح عليه بيرل هاربر فى حالة الحرب ، وهى تعد فعلاً لخوضها ؟

لقد ذهب (نوكس) وزير البحرية الأمريكية فى تحذيره من هذا الخطر إلى حد كتابة رسالة

فى هذا الشأن إلى «ستيمسون» وزير الحربية قال فيها : «إذا حدث أن دخلت الولايات المتحدة حرباً ضد اليابان فهناك احتمال أن تبدأ الأعمال العدوانية بهجوم مفاجئ على قاعدة بيرل هاربر ، وهذا الهجوم يمكن أن تقوم به قاذفات القنابل اليابانية التى تنطلق من حاملات للطائرات ، أو طائرات مائية يمكن أن تتزود بالوقود فى المحيط ، أو باستخدام الطريقتين معاً جنباً إلى جنب مع عمليات أخرى» .

ثم اقترح وزير البحرية الأمريكى اتخاذ عدة إجراءات مضادة ، منها : إنشاء جهاز استطلاع قوى يمكن به إعطاء إنذار مبكر عن اقتراب أى حاملة طائرات معادية ، وتزويد الميناء بمعدات نشر ستار من الدخان لحجب السفن الراسية فيه عن الأنظار ، وتركيب شبكة فولاذية لإغلاق مدخل الميناء ، وسياج من الحواجز الجوية بالبالونات .

لكن واشنطون تغاضت عن كل ذلك ، ولم تنفذ طلباً واحداً من هذه التوصيات ! .

obeikandl.com

الفصل الثامن

مقدمات الهجوم

كانت الليلة التى بين اليوم السادس واليوم السابع من ديسمبر أمسية مرحة فى بيرل هاربر حافلة بالبهجة والسرور : ذلك أن نادى ضباط القاعدة قد أقام حفلة ساهرة ناجحة اشترك فيها جميع القادة ومعهم زوجاتهم اللاتى بعثوا فى طلبهن خصيصا من الولايات المتحدة ، لكى يستمتعوا معاً بإجازة طيبة فى جزر هاواى على نفقة الدولة !

وقد امتدت هذه السهرة الكبرى حتى الثالثة صباحا ، وبعد ذلك قصد الضباط وهم يترنحون إلى حجراتهم فى الفنادق الفخمة التى حجزت لهم للحصول على قسط من النوم . غير أنهم ما كادوا يدخلونها حتى استُدعىَ قادة القاعدة فجأة للذهاب إلى القيادة العامة بناء على دعوة من الكولونيل (جورج بيكويل) المختص بإدارة الاستعلامات .

وعندما جاء هؤلاء القادة وقف الكولونل ليبلغهم أنباء وصلته تواً ، ورأى فيها ما يثير الانتباه . قال : «لقد التقطت إدارتنا محادثة تليفونية بين صحفى من طوكيو وطبيب أسنان يابانى يقيم هنا يدعى (موتوكازى موري) ، وأعتقد أنها تخفى وراءها معانى غريبة . . .» فقاطعه الجنرال شورت فى حدة ، إذ إنه اضطر بمجيئه المفاجئ إلى قصر القيادة ان يترك صحبة لذيذة قائلا : «عليك أن تقتصر على عرض الوقائع فقط ، ونحن قادرون على تقدير الأمور دون حاجة الى ملاحظاتك الشخصية ! » .

والتزم الكولونل بيكويل بصيغة الإبلاغ ودماؤه تغلى ، قال : «كان الصحفى اليابانى يمثل صحيفة (يوميورى شنبوم) ، فسأل الطبيب قائلا : «كيف حال الورد ؟» ، فأجاب الطبيب : «إن اللداغ وواخز الفئران مزدهران الآن ! » .

وفكر الجنرال شورت قليلاً ، ثم قال فى خشونة : «ليس فى هذه العبارات ما يثير الاهتمام» . وهنا تدخل فى الحديث الجنرال فردريك مارتن قائد القوات الجوية فى القاعدة

قائلاً : «ولكنى على العكس أرى فيها شيئاً من الغرابة ، وقد يكون لها مغزى آخر ، ولاسيما كلمة (الآن)» .

فصاح الجنرال شورت : «إنكم تنسون أننا لسنا فى حالة حرب ، وليس هناك ما نخشاه على الأقل حتى المستقبل القريب» . فأردف الجنرال مارتن : «إن اليابان لم يسبق لها قط أن أعلنت الحرب قبل بدء عملياتها العسكرية فعلاً ، وقد رفعت بذلك تقريراً أسترعى فيه النظر إلى هذه الحقيقة لوزارة الدفاع . ولسوف يكون من حظنا حقاً لو أن اليابان عدلت عن طريقتها هذه المرة» .

فخفف الجنرال شورت قليلاً من حدته وهو يقول : «فلنسلم بأن اليابان تريد مهاجمتنا ، ولكن كيف ترونها تفعل ذلك ؟ إن سفن الطوربيد والاستطلاع فى قواتنا لم تبلغنا شيئاً غير عادى يحدث من حولنا . ثم إننا نبعد سبعة آلاف كيلو متر عن أقرب مطار يابانى» .

وقال قائد القوات الجوية فى حرارة : «ولكن حاملات طائراتهم قد لا تبعد عنا إلا أميالاً قليلة ! وإلا فأين ذهب مثلاً الأسطول الياباني الذى أقلع من جزر (كوريل) ؟ إن كل ما نعلمه أنه قد يكون فى بحر البلطيق ، أو فى المحيط الأطلنطى ، أو على بعد خطوتين منا !» .

فهتف الأميرال (كيمبل) مقاطعاً وعلى فمه ابتسامة ساخرة : «إنك تبالغ فى التشاؤم أيها الجنرال ، سأوافقك على أن حاملات الطائرات اليابانية قد تكون قريبة منا ، ولكن مبادئ الاستراتيجية البحرية تقضى فى هذه الحالة بألاَّ يقوم اليابانيون بأى هجوم إلا عند الغروب ، حتى يتمكنوا بعده من الانسحاب فى الظلام» .

وقال الجنرال مارتن الذى كان أقل الحاضرين رغبة فى المزاح : «إننى لا أؤمن كثيرا بالنظريات ، وسأشعر بمزيد من الطمأنينة إذا نحن أمرنا بإخراج دوريات جوية وبحرية للاستطلاع بدلا من الاستمرار فى هذا النقاش» . فأجاب الأميرال (كيمبل) محتداً : «هذا مستحيل ، فإن علينا القيام بمهمة فى الغرب تجاه الفلبين ، لأن الخطر إنما يكمن فى تلك المنطقة . وليس هنا بأى حال ، وبعد فإن اجتزاء عدد من طائرات الاستطاع أو زوارق الطوربيد لن يكون إلا إسرافاً فى الوقود لامبرر له» .

وحاول مارتن المضى فى عرض آرائه ، لكن الأميرال أسكته ، إذ توجه بالحديث إلى (شارل ماك موريس) قائد العمليات قائلاً له : «ما احتمالات هجوم مفاجئ على هونولولو ؟» فأجاب هذا : «لا احتمال !» عند ذلك لوح الجنرال مارتن بذراعيه فى الهواء علامة على

الضيق واليأس ، ثم صمت عجزاً واستياء . غير أنه فى تلك اللحظة بالذات دلف إلى القاعة ضابط من البحرية لاهثاً وهو يقول : «إن زورق الطوربيد (وارد) أبلغنا الآن أنه استقبل إشارات ضوئية من الفرقاطة (كوندور) مؤداها أنها شاهدت إحدى الغواصات على مقربة من المكان الذى تسير فيه ، وهى متجهة ناحية الغرب بسرعة تسع عقدات فى الساعة» .

وتدخل للرد على الضابط البحرى الجنرال (يشارل بلوك) قائد المجموعة الرابعة عشرة الذى ظل حتى الآن مكتفيا بالإصغاء إلى الآخرين : «إننا نشاهد فى الأيام الأخيرة طائرات وغواصات ، وحتى حاملات طائرات فى أقداح القهوة ! » وصمت برهة صغيرة ثم قال : «أيها السادة ، إن الساعة قد بلغت الرابعة» .

وعند ذلك وقف الأميرال (كيمبل) علامة على إنهاء المناقشة قائلاً : إن غداً هو يوم الأحد ، وأقترح أن نسمح لأنفسنا ببضع ساعات نقضيها فى النوم» .

* * *

وفى اللحظة نفسها التى كان فيها الأميرال (كيمبل) ينهى الاجتماع ، بعد أن أقنع الذين حضروه من قادة بيرل هاربر بأنه ليس ثمة أخطار تهدد القاعدة – كان مؤتمر آخر يعقد على بعد أربعمائة كيلو متر إلى الشمال فى قاعة القيادة بحاملة الطائرات اليابانية (آكاجى) ، ويحضره الضباط العظام التابعون للأسطول الجوى اليابانى الأول . وكانت هذه الحاملة نفسها هى سفينة القيادة للتشكيل البحرى الذى أبحر يوم ٢٥ من نوفمبر من جزر (كوريل)

وعلى أرضية هذه القاعة فرشت خريطة جغرافية ضخمة غطتها كلها ، تمثل القاعدة الأمريكية ، وقد وضحت فوقها بكل دقة جميع المنشآت العسكرية ، وموقع كل سفينة داخل الميناء . وقد وزعت طبعات مصغرة من هذه الخريطة على جميع الطيارين اليابانيين ، وعثر فيما بعد على واحدة منها فى إحدى الطائرات التى أسقطت ، وكانت تبين مدى الدقة التى يعمل بها جواسيس اليابان فى هونولولو الذين لم يقعوا إلا فى خطأ واحد ، هو أنهم استبدلوا المدمرة الهجومية الضخمة (أوتاه) بحاملة الطائرات (ساراتوجا) .

وفى تلك اللحظة أيضاً كان القائد اليابانى للتشكيل البحرى يختتم المؤتمر قائلاً : «لقد ناقشنا العملية فى كل تفاصيلها ، وكل واحد منا يعرف على وجه التحديد المهمة التى سيقوم بها . ومع ذلك فإنى أرجو من الأميرال (كوزاكا) أن يعيد مرة أخرى الخطوط العامة للعملية»

كان قائد التشكيل هو (كويشى ناجومو) الذى ينتمى إلى طبقة الضباط القديمة الذين

عرفت عنهم الدقة المتناهية فى العمل ، وقد ارتدى فى هذه المناسبة بزته الرسمية السوداء التى يرتديها عادة فى الاستعراضات ، وزين صدره بعدد كبير من الأوسمة التى أحرزها فى المواقع الكثيرة التى خاضها .

ووقف نائب الأميرال (ريوتوسوكو كوزاكا) رئيس أركان حرب الأسطول الجوى الأول ، وراح يكرر : «سنضرب قاعدة بيرل هاربر مستخدمين فى ذلك ٣٥٣ طائرة تنقسم إلى موجتين :

فتنطلق الموجة الأولى خلال ساعتين ، أى فى تمام الساعة السادسة ، بحيث تصل إلى منطقة الهدف الساعة ٧,٣٠ . وهذه الموجة مكونة من ٤٠ طائرة صاروخية ، و ٧٠ قاذفة قنابل ، و ٧٣ مقاتلة للحراسة .

أما الموجة الأخرى فستنطلق فى تمام الساعة ٧,١٥ . وتتألف من ٨٠ قاذفة قنابل منقضة . و ٥٤ قاذفة من ارتفاع عال . و ٣٦ مقاتلة . وبذلك تبقى لدينا ٤٠ طائرة لحماية التشكيل البحرى احتمالاً لوقوع هجوم أمريكى مضاد» .

وأتى (ميتسو فوكيدا) قائد المجموعات الجوية بحركة من رأسه دليلاً على الموافقة على حين استطرد (كوزاكا) قائلاً : «أما أهدافنا فهى المطارات المائية فى (هيكام) و (ويلر) ، ومعسكرات (سكوفيلد) ، والمحطات الجوية والبحرية فى (كينهو) و (فورد آيلند) ، وقواعد جنود مشاة البحرية فى (إيوا) ، والأسطول الأمريكى» .

* * *

وبينما راح (كوزاكا) يتلو عن ظهر قلب تفاصيل العملية التى ستبدأ بعد قليل أخذ يشير بعصاه على الخريطة الضخمة إلى مواقع البارجتين الأمريكيتين (بنسلفانيا) و (أريزونا) الراسيتين فى الحوض الشمالى الغربى ، وإلى الطرادات (كاليفورنيا) و (تينيسى) و (ماريلاند) و (وست فيرجينيا) وقد وقفت فى صف متعرج بعضها وراء بعض ، ثم إلى البارجة الثقيلة (بورتلاند) الواقفة فى الحوض الجاف ، وأخيراً إلى المدمرات السبع ، وزوارق الطوربيد الواحد والعشرين .

وبعد أن فرغ من تلخيص العملية نهض الأميرال (ناجومو) مهيباً شامخاً ، وبدأ يتحدث إلى القادة المجتمعين قائلاً : «قبل أن أصدر إليكم الأمر باتخاذ مواقع القتال يشرفنى أن أقرأ عليكم رسالة بعث بها القائد العام للأسطول الياباني : لقد دقت الساعة ، وحان الوقت الذى

يتقرر فيه مجد اليابان أو انهيارها » .

وهتف الضباط الثلثمائة الذين اشتركوا فى الاجتماع بحماس : « نيبون بانزاى » . ومعناها عاشت اليابان .

وفى هذه اللحظة ارتفع على سارية حاملة الطائرات علم القتال ، وهو بعينه العلم الذى رفعه الأميرال (هيها شيرو توجو) يوم انعقد له النصر العظيم فى المعركة البحرية الكبرى ضد روسيا . وبعد ذلك مباشرة خلت القاعة من الحاضرين . فقد انطلق الضباط مسرعين لينحقوا بسفنهم ، أو ليكونوا على رأس قواتهم عقب هذا الاجتماع الطويل الذى انعقد فور ورود رسالة القائد العام للبحرية التى قال فيها : « اتخذوا إجراءات الهجوم » .

والواقع أن احتمال القيام بهجوم مفاجئ على ميناء بيرل هاربر كان موضع دراسة شخصية من جانب الأميرال (ياماموتو) منذ شهر أغسطس الماضى ، كما أن القيادات المختصة راحت تعد تفاصيله منذ يوم ١٣ من سبتمبر . وعندما خرج الأسطول من قواعده فى جزر (كوريل) كان معنى ذلك أن العملية دخلت مرحلة التنفيذ . وبرغم ذلك فإنه حتى اليوم السادس من ديسمبر لم يكن الأميرال (ناجومو) نفسه يعرف هل الهجوم سيقع ، أو أن الأوامر سوف تصدر إليه بالعودة إلى اليابان ؟ وأغلب الظن أنه ظل يأمل حتى آخر لحظة أن يصل الأمر بالعودة ، لأنه فى أعماقه كان يشعر بأن العملية تنطوى على الكثير من المغامرة . وكان (كوزاكا) قد بذل جهداً كبيراً لإقناعه بقبول تولى قيادة هذه العملية بناء على تعليمات من (ياما موتو) نفسه .

فلما فرغت القاعة ممن كانوا فيها من الضباط تخلى (ناجومو) عن مظهر العظمة والخيلاء . ووجه حديثه إلى كوزاكا وهو يفكر تفكيراً عميقاً . قال : « ماذا ترى فى كل ذلك ؟ إننى أشعر بأنى حملت نفسى مسئولية بالغة الخطر . لقد وددت لو أنى أوتيت قدراً أكبر من الصلابة لرفضها ، ومازلت أتساءل هل يمكنها أن تنجح » .

فأجاب كوزاكا : « أيها الأميرال ليس هناك ما يدعو إلى القلق ، إننا سنقوم بكل شىء على ما يرام » .

وعند ذلك همس (ناجومو) فى ابتسامة شاحبة : « إننى أحسدك على هذا التفاؤل ! » .

obeikandl.com

الفصل التاسع

القاعدة نائمة

وقف القائد الجوى (مينورو جندا) ومعه الكابتن (أونو) حول مائدة على ظهر السفينة، وفوقها صورة مجسمة لقاعدة بيرل هاربر صنعت من البلاستيك.

كان (جندا) من أعوان (ياماموتو) المقربين، وكان بدوره يرى أن نجاح الهجوم على القاعدة الأمريكية إنما يتوقف على إمكان صنع نوع خاص من الألغام يمكن قذفه من الطائرات، فيهبط إلى أعماق محددة. وقد استطاع أن يحل هذه المشكلة فى شهر نوفمبر السابق مستخدماً فى ذلك ذيلاً من الخشب يركب للألغام العادية، فتبقى معلقة عند العمق المطلوب، غير أن زملاءه لم يكونوا جميعاً واثقين من نجاح هذا الاكتشاف.

وكان النقاش يدور بين الرجلين حول هذه النقطة بالذات، فقال (جندا): «إن اللغم الذى صنعته لا يمكن الوقاية منه، والواحد منه يكفى لتدبير سفينة ضخمة» ورد الآخر قائلاً: «ولكن حتى إذا نجحت هذه الألغام فإنها لا يمكن أن تؤدى العمل وحدها. إن الأنباء الواردة من هونولولو تقول: إن السفن الأمريكية ترسو فى القاعدة، وقد تجاوزت كل اثنتين منها معاً، بحيث إن اللغم عندما ينفجر بجانب واحدة لا يصيب السفينة الأخرى التى تكون محتمية وراءها».

فقال (جندا) مفكراً: «قد يكون ذلك صحيحاً، وهو أمر يؤسف له، غير أن ما يؤسفنى أكثر أنه ليست فى القاعدة أى حاملة طائرات حتى أغرقها بهذه الألغام. إن خروجها من القاعدة يعتبر سوء طالع لنا وإنى لأتساءل: ألا يمكن تأجيل الهجوم انتظاراً لفريسة أكبر؟» فأجاب (أونو): «إن الأميرال لا يمكنه أن يتراجع، كما أن فى الميناء ثمانى سفن ضخمة، فلا يهم أنْ أفلتت حاملتا طائرات».

فأردف (جندا): «إن حاملة الطائرات الواحدة تعادل فى الحرب الحديثة أربع مدمرات ثقيلة».

وقطع هذا الحديث مجيء ضابط صف يحمل رسالة وردت لتوها من هونولولو ، ففضها الكابتن (أونو) وقرأ محتوياتها ، وإذا بها تقول : «لا عوائق من البالونات المعلقة . والسفن تقف بغير حماية ، ولم يعلن أى إنذار فى الميناء عن قرب وقوع غارات جوية أو بحرية» .

* * *

لم يبق سوى ربع ساعة على موعد بدء الهجوم المحدد له الساعة السادسة . وعند ذلك تقدم (فوكيدا) قائد طائرات الهجوم إلى الأميرال ناجومو ليقول له : «سيدى ، إننى على أتم استعداد للقيام بالمهمة» . فأجاب الأميرال وهو يشد على يده : «وأنا أثق فيك كل الثقة» .

وانطلق (فوكيدا) إلى طائرة القيادة التى تميزت بشريط من اللونين الأحمر والأصفر ر حول ذيلها . فاتخذ مكانه فيها ، وبعد ذلك أخذت حاملات الطائرات اليابانية الست تستد فى بطء حتى أصبحت تواجه الريح .

لم تكن الأحوال الجوية ملائمة تماماً لعملية إقلاع الطائرات ، إذ كان البحر هائجاً ، مما جعل السفن برغم ضخامتها تتمايل إلى الأمام والخلف بمقدار ١٥ درجة . ومع ذلك فإن صفّ من الأعلام الصغيرة رفع على منتصف سارية سفينة القيادة (آكاجى) ، فاتجهت إليه أنظار جميع الطيارين ، فقد كان معناها أن كونوا على أتم حالات الاستعداد للانطلاق .

فلما بلغت الساعة السادسة تماماً مضت الأعلام ترتفع حتى بلغت قمة السارية ، ثم أنزلت على وجه السرعة ، وبعد دقيقة واحدة كانت الموجة الأولى التى تضم ١٨٣ طائرة مستوية فى السماء .

* * *

وفى هونولولو كان الوقت لا يزال مبكراً ، ولم يكن قد استيقظ فيها سوى بعض خدم الفنادق الذين انهمكوا فى عمليات التنظيف : ذلك أن اليوم كان يوم أحد ، والجو ينبئ بأنه سيكون طيباً ، وهما مناسبتان لمضاعفة عدد الذين يقومون برحلات ترفيهية فى المدينة التى لم تفق بعد من سهرة يوم السبت .

وفى المعسكرات كان الجنود بدورهم مازالوا يغطون فى نومهم ، وقد تركوا وراءهم المطارات خاوية من الحراسة : ذلك أن جميع العسكريين فى جزر هاواى ، وعددهم ٤٢٠٠٠ ألف رجل قد اشتركوا فى الليلة الماضية فى الحفل الموسيقى الكبير الذى تبارت فيه جميع الفرق الموسيقية التى بالقاعدة . وقد فازت بجائزة الحفل فرقة السفينة (بنسلفانيا) وسط

اعتراضات كثيرة ؛ مما أدى إلى وقوع خلاف بين الحاضرين . فانقسموا إلى فريقين متعارضين متنابزين ، ظلا يتجادلان حتى الفجر ، ثم غلبهم جميعا النوم .

وهكذا جاء الصباح الباكر من يوم ٧ من ديسمبر ١٩٤١ ، والشيء المميز في جميع أرجاء بيرل هاربر هو النوم . لقد كان الجميع نياماً فيما عدا قلة من البحارة ، كلفوا النهوض مبكرين لتنظيف أسطح السفن ؛ حتى تكون جاهزة في الصباح للاحتفال الجديد ، وهو الصلاة في الهواء الطلق على ظهور السفن .

أما موعد نوبة اليقظة فقد حدد له الساعة ٧,٣٠ ، غير أنه ما من أحد في القاعدة كان يتنبأ بأنه عندما تدوى الأبواق في هذه الساعة سيكون اليابانيون هم الذين يلبون النداء !

والواقع أن الأمريكيين كان في إمكانهم الخلود إلى النوم في هدوء ؛ لأنهم كانوا قد فرغوا من تركيب أجهزة رادار جبارة تستطيع أن تنوب عنهم في العمل ، فتكشف لهم جميع الأخطار المحدقة بهم ، وتعطى إنذاراً بوجود أي طائرة في حدود مسافة قطرها ٢٥٠ كيلو متر إذا كانت هذه الأجهزة تعمل .

لكنها كانت تتوقف (يومياً) عن العمل من السابعة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر ، ثم تستأنف عملها حتى صباح اليوم التالي ، فيما عدا أيام الآحاد التي لا تعمل فيها على الإطلاق . فلم يكن مصادفة إذن أن كان يوم ٧ من ديسمبر الذي اختاره اليابانيون للهجوم على القاعدة يوم أحد .

وهكذا فإنه عندما دقت الساعة السابعة من ذلك اليوم توقفت الأجهزة ، وأغلقت محطات الرادار ، وعاد جميع العاملين فيها إلى مساكنهم . وقد تصادف أن تأخرت السيارة التي تذهب عادة لتأخذ العاملين في محطة (أوبانا) ، وهي إحدى محطات الرادار الخمس ؛ مما اضطُّر معه اثنان من هؤلاء العاملين أن يقضيا الوقت أمام الجهاز حتى تجيء .

وفي الساعة ٧,٠٦ اكتشف (جورج إيليوت) وهو أحد هذين العاملين أن مجموعة كبيرة من الطائرات تظهر على شاشة الرادار ، وهي تحلق على بعد ٢٢٠ كيلو متر ناحية الشمال بميل قدره ثلاث درجات إلى الشرق . وعلى الفور نقل هذا النبأ إلى مركز الاستعلامات الذي لم يكن فيه في تلك اللحظة سوى عامل السنترال والملازم (تيلر) .

وقال عامل السنترال بعد أن تلقى هذه الإشارة موجهاً حديثه إلى الملازم تيلر : « هل ترى أنه يجب أن نفعل شيئاً ؟ إن هذه هي المرة الأولى التي نتلقى فيها مثل هذا النبأ » . ولم يكن

الضابط الصغير متمرسا بالعمل ، ولذلك تساءل فى حيرة : «وماذا عساانا أن نفعل ؟» فقال العامل : «علينا أن نبعث فى طلب عمال التسجيل الذين ذهبوا لتناول الإفطار وعلى كل حال فإنهم لم يتدربوا على هذا العمل بعد ، ويبدو أن الطائرات المرصودة كثيرة» .

لكن الضابط الصغير لم يثره هذا الموضوع ، فلم يتخذ أى أجراء ! .

* * *

وفى هذا الوقت كانت الأضواء تتزايد على شاشة جهاز الرادار فى محطة (أوبانا) وحدها ، وبدا كما لو أن خمسين طائرة على الأقل تتجه إلى بيرل هاربر بسرعة ثلثمائة كيلو متر فى الساعة ، فعاد العامل ليتصل مرة (ثانية) بمركز الاستعلامات ، ويلح فى ضرورة الاتصال شخصياً بالضابط . وتناول الضابط سماعة التليفون وراح ينصت إلى مايقال ، ثم عمد إلى التفكير برهة صغيرة تذكر خلالها أن بعض حاملات الطائرات الأمريكية خارج الميناء ، فلا بد أن ما تسجله شاشة الرادار بعض هذه الطائرات .

وتذكر الضابط كذلك أنه استمع إلى الراديو وهو قادم للعمل، وكان المذيع ينقل أنباء تحركات عدد من طائرات (ب – ١٧) ، فأدرك عند ذلك أن هذه القلاع الأمريكية تحلق الآن فى السماء ، فلما وصل إلى هذه النتيجة قال لعامل الرادار : «لا تقلق بشأن هذه الطائرات ، إنها طائراتنا !» .

ولما كان وقت النوبة قد انتهى فإن الضابط وعامل السنترال خرجا معاً من مركز الاستعلامات ، وأغلقاه خلفهما بالمفتاح . وفى الوقت نفسه جاءت سيارة الجيب التى كان عاملا الرادار فى محطة (أوبانا) فى انتظارها . فأطفئت المحطة ، وأقلتهما السيارة فى طريقها إلى المدينة .

أما آخر تسجيل ظهر على الشاشة فقد كان يشير إلى أن الطائرات المجهولة أصبحت على بعد خمسة وثلاثين كيلو متر فحسب .

* * *

وهناك أمور غريبة أخرى وقعت فى الساعات الأولى من ذلك الصباح نفسه : ففى الساعة ٦,٤٥ كان زورق الطوربيد (وارد) الذى تلقى قبل ذلك إشارة من الفرقاطة (كوندور) بأنها شاهدت إحدى الغواصات فى طريقها – يبلغ أنه رأى بدوره غواصة أخرى ، وأغرقها عند مدخل الميناء بقنابل الأعماق .

وفى الساعة ٧,٠٠ أبلغت طائرة استطلاع مائية القاعدة أنها أغرقت غواصة ثالثة . وبعد بضع دقائق من ذلك عاد ضابط المراقبة فى الزورق (وارد) ينادى القيادة ، ويبلغها أنه شاهد جسماً غريباً يسبح فى المياه المحظورة ، ثم أوضح بعد قليل أنها غواصة رابعة .

غير أن العادة جرت فى عمل القوات الأمريكية على ضرورة مرور مثل هذه التبليغات بعدة إجراءات روتينية تستغرق ساعة كاملة قبل أن تصل إلى الأميرال (كيمبل) الذى كان يستريح فى بيته فى ضاحية (نيو ماكالابا) على بعد خمسين دقيقة بالسيارة من مقر قيادته . فلما تلقى الإشارة الأولى لم ير فيها ما يوجب ترك البيت والذهاب إلى مكتبه ، وإنما اكتفى بالاتصال تليفونيا بمقر الأميرال (بلوك) والقائد (إيرل) ، وقال لهما إنه لا يصدق أن زورق الطوربيد (وارد) قد أغرق أى غواصة ، بل لم يشاهدها على الإطلاق .

ونتيجة لكل ذلك ، أشرفت الساعة على الثامنة صباحاً والقاعدة الأمريكية تستقبل اليوم فى كسل وتراخ شديدين ، كما هى عادتها أيام الآحاد . وفى الساعة ٧,٥٥ رفع على سارية إحدى السفن علم أزرق صغير علامة على قرب الاحتفال برفع العلم الأمريكى ، وسرعان ماكان على ظهر كل من السفن الراسية فى الميناء ضابط يحيط به أربعة من البحارة هم حرس الشرف الذين يتولون رفع الأعلام على كل سارية ، وهو ما تقضى اللوائح أن يتم فى الساعة الثامنة .

وفى هذه اللحظة اصطفت الفرق الموسيقية على ظهر البوارج والمدمرات ، واستعدت لعزف النشيد الوطنى . أما السفن التى هى أقل حجماً ، فكان عليها أن تؤدى تحية العلم بإطلاق صفارتها . ولقد كان الموسيقيون فوق البارجة (هيلينا) على وجه التحديد هم الذين شاهدوا قبل غيرهم نقطاً صغيرة قاتمة فى السماء قادمة من مسافة بعيدة من الاتجاه الجنوبى الغربى .

والواقع أن تلك النقط كانت طائرات تتقدم من كل اتجاه ، وقد مرت مجموعة منها على بعد لا يزيد عن ٩٠ متراً من زورق الطوربيد (هيلم) ، وهى تطير فوق قناة الدخول إلى الميناء مباشرة ، ولوح واحد من الطيارين بيده تحيياً ، فرد عليه مراقب السطح تحيته .

بيد أن هذا المراقب لم يلبث أن راح يتعجب بينما كان يراقب هذه الطائرات ، وقال لنفسه : «الغريب أن طائراتنا ليس فيها عجلات للهبوط كالتى أراها فى هذه الطائرات ! » ، وسمعه ضابط آخر يقف إلى جواره ، فأجابه قائلاً : «لابد أن إحدى حاملات الطائرات الروسية جاءت لزيارتنا ؛ فقد سبق أن رأيت عدداً من الطائرات قد رسم عليها قرص أحمر» .

obeikandl.com

الفصل العاشر

ودخلت أمريكا الحرب

بيد أن تلك المجموعة من قاذفات القنابل التى مرت على ارتفاع منخفض فوق زورق الطوربيد الأمريكى كانت طائرات يابانية يقودها الكابتن (تاكا هاشى) ، وكانت ماضية فى طريقها إلى (فورد آيلاند) و (هيكام)،وفى أعقاب هذه جاءت الطائرات حاملات الألغام التى يقودها الكابتن (موراتا) ، وبدا كأنها تتخذ وضعاً يمكنها من مهاجمة السفن الكبيرة .

أما الكوماندر (فوكيدا) فقد جاء بعدها متأخراً ، وراح يحلق فوق (باربرز بوينت) ، ووراءه مجموعة من قاذفات القنابل الضخمة ، وأخذ يراقب رجاله وهم يتهيئون للشروع فى العمل : فلقد كانت الخطة أن يجرى الهجوم فى وقت واحد بدلا من أن يتم على مراحل ؛ كما كان مقرراً من قبل : ذلك أن القائد رأى أن تضرب السفن كلها دفعة واحدة بما على ظهورها من طائرات تقف فى صفوف مستقيمة لامعة ، وخاصة أنه قد علم أن المدافع المضادة المنصوبة إلى جوارها ليس فيها طلقة واحدة وليس بالقرب منها أى ذخيرة !

* * *

وبدأ الهجوم اليابانى ، وعندما سقطت أول مجموعة من القنابل على القاعدة دمرت المطار الذى فى الطرف الجنوبى للجزيرة ، فلما اعتدلت الطائرة التى ألقت تلك المجموعة لكى تتهيأ لفريسة جديدة مرت على قرب شديد من سفينة بث الألغام الأمريكية (أوجالا) التى يقودها نائب الأميرال (وليام فورلنج) ، فراح هذا يتطلع مشدوهًا إلى الشريط ذى اللونين الأحمر والأصفر الذى يحيط بذيل الطائرة ؛ ليدرك أخيراً أنها ليست أمريكية تلك التى تحلق فوق رأسه .

وعند ذلك فطن الضابط الأمريكى الكبير إلى أن القنابل التى تتساقط على بيرل هاربر إنما تلقيها طائرات معادية . وقد اعتبر ذلك عملاً فى منتهى الذكاء منه . ولما كان هو صاحب أكبر

رتبة عسكرية فى تلك اللحظة فى القاعدة كلها ، فقد أصدر بهذه الصفة أمراً بإعطاء الإنذار التالى : «على جميع السفن أن تستعد للخروج من الميناء» .

وكانت الساعة عند ذلك ٧,٥٧ صباحاً .

* * *

وفى الطرف الآخر من الجزيرة راحت مجموعة أخرى من الطائرات اليابانية تنقض فى عنف على المدمرتين (أوتاه) و (رالى) فى وقت واحد . وقد خيل لضابط السطح فى السفينة الأولى ويدعى (كورن) أن تلك الطائرات تابعة للبحرية ، وأنها فى تلك الساعة تقوم ببعض التدريبات ، ولذلك فإنه نادى جنود الكتيبة المضادة للطائرات ، ليخرجوا ويستفيدوا من مراقبة هذه التدريبات والاشتراك فيها .

وعندما سارع الرجال للوصول إلى أماكنهم المحددة لهم على ظهر المدمرة إذا بطوربيد ضخم ينقض عليها ، فيقتلعها من أعماقها . أما زميلتها (ديتروبت) المحتمية فيها فقد خرجت سليمة ، على حين أصيبت مدمرة ثالثة بضربتين مباشرتين فى الصميم ، فمالت على جانبها ، على حين انفجر طوربيد آخر فى البارجة (هيلينا) .

كانت الانفجارات تسمع فى الناحية الأخرى من الميناء ، حيث ترسو سفن القتال الضخمة ، بيد أن جميع من فيها ظنوا أنها انفجارات المناورات التى تدور على مستوى المعارك الحقيقية .

وفى الساعة ٨,٠٠ كانت الفرقة الموسيقية التابعة للمدمرة (نيفادا) مصطفة على سطحها استعدادًا لعزف النشيد الوطنى فى أثناء رفع العلم . وعلى حين بغتة مرقت طائرة يابانية عابرة الميناء فى سرعة مذهلة ، وأسقطت طوربيداً على السفينة (أريزونا) ، فكادت تلمس بجناحها سطح (نيفادا) ووجه المدفعى فى ذيل الطائرة مدفعه السريع الطلقات نحو الرجال الواقفين فى حركة انتباه ، ولكنه لم يطلق النار على الفرقة الموسيقية مكتفيا بأن مزق العلم الذى كان فى سبيله إلى الصعود إلى أعلى السارية .

وهنا سمع صراخ يتردد على السفن قائلاً : «الجميع فى أماكن القتال ، لقد وقع هجوم جوى ، إنه ليس تدريباً ، فاليابانيون يضربوننا بالقنابل» .

وبرغم ذلك فإن بعضهم مازال يعتقد أن هذا الإنذار خطأ ، لكن هؤلاء سرعان ما تبينوا

أن الانفجارات حقيقية ، وأن الذى أريق دم حقيقى ، وأن الجنود الذين سقطوا على الأرض قتلى حقيقيون !

عند ذلك أخذ الرجال يهرولون على طول ممرات السفن وفوق درجاتها ، وعبر الطرق المؤدية إلى داخل الميناء ؛ وراح بعضهم الآخر يشق لنفسه طريقاً إلى مواقع القتال .

وما كاد الإنذار ينتشر ، حتى تلقت البارجة (أوكلاهوما) أول طوربيد من الخمسة التى كانت من نصيبها ، كما أصيبت البارجة (وست فيرجينيا) بأول طوربيداتها الستة .

* * *

وبعد ذلك لم يعد فى الإمكان متابعة الأحداث على وجه التفصيل ؛ لأن الميناء غرق فى سحب كثيفة داكنة من الدخان الذى تصاعد من البترول المحترق . وحتى وميض الانفجارات وألسنة اللهب التى اندلعت فى كل مكان لم تتح لأحد أن يتبين طريقه فى ذلك الظلام الذى لف الميناء ، أو يتعرف على ما يحدث .

أما فى هونولولو فكان السكان يعتقدون أن تدريبات عملية تدور فى ميناء بيرل هاربر ، ثم اتصل أحدهم تليفونياً بقيادة الشرطة محتجاً لأن إحدى الشظايا سقطت على منزله . ولكن فى الساعة ٩,٠٠ قطعت الإذاعة المحلية الموسيقى التى كانت تبثها ، وأعلنت نبأ الغارة .

ولم تلبث أن صدرت طبعة جديدة من صحيفة (ستار) ، وفى صدرها عنوان ضخم يحتل الصفحة الأولى بأكملها يقول : الحرب .

* * *

وهنا فقط بدأ رد الفعل الأمريكى ، وذلك عندما أقلعت من أحد المطارات أربع طائرات من طراز ب/٤٠ ، واثنتان من طراز ب/٣٦ ، واشتبكت هى والطائرات اليابانية وأسقطت بعضها . غير أنها سرعان ما انسحبت أمام النيران التى تطلقها مدفعية الدفاع الجوى بغير انتظام .

ومن الصدف السيئة أن القلاع الطائرة الأربع عشرة التى كان ينتظر وصولها الليلة الماضية – قد جاءت خلال القتال وهى مجردة من أى سلاح ، وكاد وقودها أن ينفد ، فانقض عليها اليابانيون ، وأسقطوا الثلاث الأولى منها ، ثم طائرة رابعة . وقد اضطرت العشر الباقية إلى الهبوط فى إحدى الجزر المجاورة ، حيث دمرها اليابانيون .

وهنا فرغت الموجة الأولى من الطائرات اليابانية من مهمتها بهجوم قامت به خمسون قاذفة

يقودها الكوماندر (فوكيدا) بنفسه، وكان هدفها البارجة الأمريكية الضخمة (نيفادا). غير أن هذه القطعة البحرية الهائلة كانت مختفية فى سحابة كثيفة من الدخان الأسود حجبتها عن الرؤية، فألقت الطائرات حمولاتها على زميلتها (ماريلاند) ودمرتها.

وأعقبت ذلك فترة هدوء استمرت بضع دقائق سمحت للأمريكيين أن ينظموا دفاعهم. فلما جاءت الموجة اليابانية الأخرى استقبلتها المدافع المضادة بنيران حامية، وبرغم ذلك فإن طائرات الانقضاض أخذت تهبط فوق بيرل هاربر حتى تكاد تلامس الأرض باحثة عن الأهداف التى لم تصب وتدمرها، على حين ركزت قاذفات القنابل عملها على مطارى (كينهو) و (هيكام) فحتمها تماماً.

وراحت المدفعية المضادة الأمريكية تضرب فى جنون دون أن تفطن إلى أنها تسلط نيرانها على ثمانى عشرة طائرة جاءت فى مهمة استطلاعية من حاملة الطائرات الأمريكية (إنتربرايز). وكان آخر تسجيل التقط على الأرض صيحة أطلقها قائد إحدى هذه الطائرات التى هوت جميعاً وهو يقول: «لا تطلقوا النار، فأنا أمريكى مثلكم!»

* * *

لقد وقعت أمور كثيرة مؤثرة فى هذه الساعات: ومن ذلك مثلا أن السفينة (نيفادا) كانت ترسو إلى جوار (أريزونا) التى بدأت تشتعل فيها النار، فكان يتعين القيام بحركة يائسة لتعويمها إلى عرض البحر قبل أن تمتد النيران منها إلى الأولى. وحتى يمكن ذلك كان لابد من ساعتين ونصف الساعة لتوليد الضغط اللازم فى القرانات، ولكن الضابط الوحيد الذى كان على ظهرها ويدعى (فرنسيس توماس) تمكن من عمل ذلك فى ثلاثة أرباع الساعة، والذى يؤسف له أن هذا الجهد لم يفد فى شىء إلا فى جذب انتباه الطائرات المغيرة، فانقضت عليها وأغرقتها!

ومنها أيضا ما قام به بحار يدعى (جورج وولترز) يعمل على سفينة القيادة (بنسلفانيا) التى كانت داخل الحوض الجاف من أجل إجراء بعض الإصلاحات؛ فقد لمحتها مجموعة من الطائرات اليابانية، فتحولت إليها لضربها. وعندما رأى البحار بريق الطائرات وهى قادمة للانقضاض عليها أخذ يقود أحد الأوناش الضخمة الذى على ظهر السفينة فينطلق به إلى الأمام وإلى الخلف، فجعل منه درعاً مرتفعةً قطع الطريق على الطائرات، وحال بينها وبين

الانقضاض ! وقد ظل فى مكانه ساعة كاملة إلى أن انسحبت الطائرات عائدة إلى قواعدها العائمة !

* * *

وانتهت الغارة اليابانية على بيرل هاربر ، وقد خلفتها حطاماً وركاماً وكتلاً من النيران . وفى الساعة ١,٠٠ بعد الظهر هبطت على ظهر حاملة الطائرات (آكاجى) آخر طائرة اشتركت فى الغارة . وهى طائرة القائد (فوكيدا) .

وما كاد هذا يخرج من طائرته . حتى قصد ركضاً إلى مقر القيادة ، حيث كانت تدور مناقشة حامية : فقد كان الطيارون يطلبون القيام بهجوم ثالث بعد التزود بالوقود ؛ إذ كانت لا تزال هناك أهداف لم تضرب جيداً ؛ ولكن الأميرال (ناجومو) عارض هذه الفكرة . ورفض أن يأمر بعمل ارتجالى يعتمد على الحظ .

ولذلك فإنه ما إن استمع إلى تقرير القائد (فوكيدا) عن العملية كلها حتى قال : «إننا نستطيع الآن القول بأن الأهداف المرسومة قد تحققت » . ولكن (فوكيدا) انضم إلى رأى طياريه ، وأخذ يلح على الأميرال قائلاً : «سيدى ، إن هناك أهدافاً هامة حقاً ، وليس عليها أى ظل من الحماية . فإذا نحن قمنا بهجوم ثالث ، فقد نجتذب إلى المعركة حاملات الطائرات الأمريكية ، وهى صيد جميل ! » .

غير أن الأميرال كان حاسماً ، فوضع حداً للمناقشة بقوله : «لقد انتهى الهجوم تماماً ، وعلينا الآن أن ننسحب »

* * *

وفى بيرل هاربر أمكن بعد انسحاب الطائرات المغيرة عمل تقدير أولى للخسائر ، فكانت كما يلى : ثمانى بوارج ، وثلاث مدمرات ، وثلاثة زوارق طوربيد ، وعدداً لا يحصى من القطع البحرية المساعدة دمرت تماما أو غرقت جميعاً ؛ كما احترقت أو تحطمت ١٨٨ طائرة ، وسقط ٣٤٣٥ قتيلاً

وأحصى اليابانيون خلال عودتهم ما فقدوه ، فإذا هى ٢٩ طائرة ، وأقل من مائة رجل ، فاعتبروا ذلك نصراً عظيماً .

غير أن الذى انتصر حقاً فى هذه المعركة لم يكن أمريكياً ولا يابانياً ، وإنما كان ونستون تشرتشل رئيس وزراء بريطانيا الذى تحققت خطته التى سار فى تنفيذها بدأب ، وأسفرت عن دخول الولايات المتحدة الحرب معه .